الشيخ محمد متولي الشعراوي

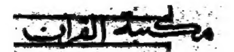


المرأة المسلمة والطريق إلى الله

مكتبة القرآن

محمد متولى الشعراوى

المرأة المسلمة
والطريق إلى الله



الطبعة الأولى
١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م


بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

نحمد الله تعالى كمـــا يحب أن يحمـــد ، ونصـــلى ونسلم على نبيه محمد . وبعد :.

ترتبط مكانة « المرأة » فى الاسلام بوظيفة الجنس البشرى ، ودوره على هذه الأرض .. (ومن لا يفهم غاية الوجود الانســانى كما جاء به القرآن ، سيضـــل عن السبيل فى هذه القضية الخطيرة وغيرها من القضايا التى تعترض العقل البشرى وهو يبحث الوجود الملغز عن الحقيقة ، والنجاء ..) .

فالرجل والمرأة شريــكان فى التكليف ، مهيئـــان للعبادة بمعناها الواســـع الذى ينتظـــم طول الحيـــاة وعرضها ، ثم هما مجزيان كل بما قدمت يداه .. لكن

● هل موقع الرجل من خلافة الأرض هو نفس موقع المرأة ؟

● وهل مجاله ودوره ، هو مجالها ودورها ؟ .

الجواب الاسلامى ، والانســانى البديهى : كلا .!!

ولسائل أن يستفسر : كيف ؟

وهو ان شاء الله واجد ـ مع اخلاص النية ـ فى الصفحات القليلة التى بين يدينا من كلام فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى الكثير مما يسكن مسكبه ، ويهديه الى القول الفصل فى « وضع » المرأة ، ودورها، ومجالها ..

وقد اضفنا الى هذه الرسالة ملخصا لرسالة « زى المراة المسلمة » ..

والله نسأل أن ينفع به الاسلام والمسلمين .. انه نعم المولى ونعم النصير ..

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ..

المرأة المسلمة

الأستاذ احمد فراج :

قضية المرأة من وجهة نظر الاسلام . ولعل المدخل الطبيعى يكون لها هو فى قضية الزوجيــة التى نراها كظاهرة عامة فى كل الـكائنات فى الـكون . واذا كانت هذه الظاهرة تعطى نوعين فهل هذا الانقســام يعطى ميزة لنوع على آخر .

المرأة والرجل نوعان

فضيلة الشيخ الشعراوى :

فى الواقع ان الانسان حين ينظر الى موضوع من الموضوعات قد تختلف فيها العقول يجب ان يبحث فى موضوع مشــابه له اتفقت فيــه العقــول ولذلك يرد الحكم فى الأول المختلف فيه على نظام الحكم فى الثانى أولا : كلمة امرأة تعنى أن لها مقابل وهو الرجل .. امرأة تعنى أنثى ، ورجل يعنى ذكر . لو نظرنا اليهما لوجدنا أن هناك جنساً يجمعهما وهو الانســان . وحين أقول جنساً يجمعهما وهو الانسان أقصد أن الجنس

هو ما يمكن أن ينشأ منه نوعان أى ينشأ منه أفراد متساوون ، فأنا أقول انسان جنس لأنه ينشأ منه نوعان وهما ذكر وانثى ، ولا أختلاف فى تكوينهما الحقيقى .. اذا نظرنا الى جنس ينقسم الى نوعين . فيجب ان نقول : انه لم ينقسم الى نوعين الا لأداء مهمتين ؛ والا لو كانت المهمة واحدة لظل الجنس واحداً ؛ وانقسامه الى نوعين دل على أن كل نوع له خصوصياته فى ذاته ، والجنس يجمع لهما معية خصوصية فى ذاته مثلا : الزمن جنس يشمل الليل والنهار ، هذا نور وذلك ظلام والليل والنهار كظاهرتين قد يظن البعض انهما متعارضتين أو متناقضتين . نقول له : لا ، النور لم يأت ليعارض الظلام ولا الظلام يعارض النور . ولذلك لا يصح أن نقارن بين نور وظلام لأن لكل واحد منهما مهمة يؤديها لا يستطيع الآخر ان يؤديها . فالزمن ينقسم الى ليل ونهار . نقول له : ان الزمن بجنسيته له معنى وهو انه ظرف لحدوث الأشياء فيه ، هذا هو المعنى المشترك ، وبعد ذلك انه انقسم الى نوعين ، هذان النوعان : النهار والليل ، اذاً النهار له مهمة ، والليل له مهمة أخرى ..

الحق سبحانه وتعالى حينما يعرض هذه القضية يعرضها عرضاً واضحاً معللا فقال : **« هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا »** ..

اذا جاءت علة وجود الليل وهو السكنى والهدوء والراحة والاستقرار ، والنهار للكدح والعمل . اذاً لا نستطيع ان نقول ان الزمن كنهار دائم ينفع أو الزمن كليل دائم ينفع ؟ وهذه أيضاً يعرضها القرآن « **قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء ، أفلا تسمعون ؟ قل أرايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمداً الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ؟** » ..

اذاً الحق سبحانه وتعالى من رحمته أنه جعل الزمن وهو كجنس ظرف لحدوث الأشياء فيه الى نوعين كل نوع يؤدى مهمة ؛ فلو اردنا ان نشبه الليل بالنهار او النهار بالليل نكون قد خرجنا بالنوعين عن المهمة الأصلية الموجودة لهما .

علة وجود الزوجين

والرجل والمرأة بهذا الشكل . ومن المرأة والرجل نوعين لجنس هو الانسان فكأن هناك أشياء تتطلب من كل نوع كانسان ، وبعد ذلك هنالك أشياء تتطلب من الرجل كرجل ومن المرأة كامرأة ، بحيث نستطيع أن نقول انهما كنوعين من الجنس لهما مهمات ، مهمات مشتركة كجنس ، ومهمات مختلفة كنوعين . والحق سبحانه وتعالى حينما عرض قضية الليل وقضية النهار ـ وهى قضية كونية ـ لا يختلف فيها أحد ولا يمكن لأحد أن يعارض فيها لأننا جميعاً نجعل الليل للسكن والراحة ، والنهار للكدح . والحق سبحانه وتعالى يأتى فى هذه القضية ليقدمها ايناساً بالقضية التى يمكن أن يختلف فيها وهى قضية الرجل والمرأة فقال : **((والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى ، وما خلق الذكر والأنثى ، ان سعيكم لشتى))** نوعان للزمن ونوعان آخران يمكن أن يختلف فيهما . فكأن لليل مهمة ، وللنهار مهمة . وكان تبعاً لذلك ، للرجل مهمة وللمرأة مهمة **((ان سعيكم لشتى))** ويأتى فى القضية العامة . **((ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن))** .

اذاً لا يتمنى الرجل ان يكون امراة ، ولا المراة ان تكون رجلا ، ولذلك الحديث الشريف يشرحها فيقول : (لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء ، ولعن الله المتشبهات من النساء بالرجال) . لأنها خرجت عن النوعية المقصودة .

وكذلك كل ازواج الحياة .

ومن هنا يقول الحق سبحانه وتعالى : **((ومن كل شيء خلقنا زوجين))** ، **((يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها))** اي خلق من جنسها زوجها ، **((وبث منهما رجالا كثيرا ونساء))** .

اذاً فعلة وجود الزوجية في الانسان وفي النبات وفي الحيوان التكاثر ، والتكاثر في هذه الأشياء لأجل أن يحفظ النوع .

والحق بين لنا ان لكل نوع من الجنس مهمة يؤديها . هذه المهمة التي يؤديها يجب أن يقف عندها واذا ما وقف عندها امكن لكل نوع أن يؤدي مهمته بدون تعارض ، بل بتساوي وتعاطف . والذي يفسد الأمر أن نوعاً يريد أن يغير على حقوق نوع آخر او على واجبات نوع آخر ، ومن هنا يحدث الفساد في نظام الكون ..

الأستاذ أحمد فراج :

واضح من كلام فضيلتك أن هناك خصائص مشتركة بين الرجل والمراة . وهناك نواحي تختلف فيها وظيفة الرجل ووظيفةالمراة . فهل لنا ان نتناول اولا هذا القدر المشترك بين الرجل والمراة ؟

فضيلة الشيخ الشعراوى :

القدر المشترك هو ما يطلب من الجنس كانسان بالنسبة الى دين من الاديان . الاعتقاد : المراة مطلوب منها أن تعتقد العقيدة التى تقتنع بها ، والرجل كذلك .. ولا يمكن لرجل أن يفرض عقيدته على امراة . والقرآن اوضح هذه المسألة فى أقوى صورها .

حرية الاعتقاد

مثلا : الرسل الذين جاءوا ليحملوا الناس على منهج الله ، أولى بهم ان يحملوا زوجاتهم على منهج الله ، ومع ذلك عرض القرآن هذا العرض اذ ((**ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً ، وقيل ادخلا النار مع الداخلين**)) ..

اذاً الرسول مفروض فيه ان يهدى الناس ، ومع ذلك لم يستطع ان يحمل امراته على اتباع منهج الله .

اذا فللمرأة أن تعتقد ما ترى كانسان له حرية الاعتقاد .

وبعد ذلك ضرب مثلا للقضية المقابلة **((وضرب الله مثلا للذين آمنوا امـرأة فرعون))** فرعون الذى ادعى الألوهية لم يستطع أن يدخل هـذه العقيدة فى نفس زوجته التى قالت : **((رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين))** . اذاً فالخاصية الأولى التى تهم الدين خاصيـة حرية الاعتقاد . انها لها ان تعتقد ما تشاء **لأن هـذا الاعتقاد سيلزمها بمنهج** ، فان لم ترتبط بالعقيدة باختيارها اذاً فاقبالها على المنهج غير مأمون ، ان اقبلت اكراها تقبل على المنهج ما رآها القانون أو ما رآها المكره . لكن اذا خلت بنفسها يمكن ان تتحلل من هذا المنهج .

فالمشترك الأساسى اذاً هو حرية ذلك المعتقـد ، حرية تعقل الأشياء ، حرية الحكم على الأشياء .. ونجد أن القرآن الكريم يعرض لنا هذه الأمثال :

حـرية الفـكر

مثلا : بلقيس ، مع أن الاسـلام لا يرى ان المرأة تملك (١) ومع ذلك عرض لنا القصة ليعطى صورة من ان المرأة لها أن تعقل ، ولها أن تشير وأن تستشير ، وصورة من عقلها ورجحانها .

---

(١) اى تكون حاكمة على الأمة .

مثلا : ارسل سليمان الكتاب بعد أن جاء به الهدهد . فماذا كان موقفها قالت : ((انه من سليمان ، وانه بسم الله الرحمن الرحيم ، الا تعلوا على واتونى مسلمين)) ..

وقالت : ((ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون)) ، فماذا قال لها رجال جيشها ؟ قالوا : ((نحن اولو قوة واولو باس شديد ، والأمر اليك)) ..

هذه مسألة سياسية ونحن جيش قوى تامرينا بالحرب نحارب ولكنك أنت التى تقدرين ماذا نعمل . فماذا نصنع ؟ !

قالت : سأرسل اليه بهدية ، فان قبل الهدية اعلم انه طالب دنيا . اذاً أمكن للمرأة ان تفكر التفكير السليم الذى تعرف به طبيعة سليمان هذا .. أهو ملك من جبارى الدنيا ، أم له مهمة أخرى ؟

فارسلت الهدية فكان من موقف سليمان ((اتمدونن بمال وما آتانى الله خير مما آتاكم ، بل انتم بهديتكم تفرحون)) ..

فقالت : نذهب اليه انه انسان لا يريد المال ، فله منهج ودعوة ، وقال سليمان : ((ايكم يأتينى بعرشها قبل ان يأتونى مسلمين)) .. وجاء العرش .. الى آخر القصة . وهنا ننظر الى عقلية المرأة كيف استطاعت ان تقف الموقف الدقيق ، وتعبر التعبير الدبلوماسي :

العرش عرشها ، ولكن مسألة غريبة فى كونها تركت العرش وتأتى لتجد العرش . فماذا تقول ؟ قالت « كأنه هو » . اذاً هذه صورة من صور عقلية المرأة

وكذلك يعرض القرآن أن الله سبحانه وتعالى يصطفى بعض النساء مثل الرجال تماماً . مثلا : أصطفى مريم ، واصطفى أم موسى ، وكلفها بأشياء فعلتها . فالمرأة من حيث كونها جنس محل للاعتقاد الحر ، محل لاستعمال عقلها فى الأمور التى يعجز عنها الرجل ، محل لاصطفاء الله . وأن الله يخصها بشىء . وبعد ذلك يأتى الاسلام . حياتها حرة تملكها حرة . رأيها فيمن تختار ملكيتها للأشياء لها أن ترفض .. كل هذا القدر المشترك بين الرجل والمرأة لكن مهمة الحياة موضوع آخر .

الأستاذ احمد عراج :

ما يختص بموقف الاسلام وما أعطاه ، نجد أن المرأة فى أوربا تفقد أهليتها فى بعض الدول عندما تتزوج ليس لها الحق فى أن تبيع أو تشترى حتى تفقد اسمها ، والمشكلة عندما تأتى فيما يتعلق بالقضايا التى تبدأ بتميز كل نوع فى مهمته ، فالرجل له مهمة والمرأة لها مهمة .

هل هذه المهمة التى للمرأة من وجهة نظر الإسلام؟ أولا : ما هى هذه المهمة ؟ وهل كلمة يقول البعض

من الفتيات ان الاسلام فرض علينا زيا معينا ، وفرض علينا قيوداً ، وقيد حركتنا ؟

فضيلة الشيخ الشعراوى :

فى قصة آدم عندما قال الله لآدم ولزوجه يحذرهما من الشيطان قال انه « **عدو لك ولزوجك** » . فالمداوة مسبقة لأنه رفض السجود « **فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى** » هنا الخطاب للاثنين لآدم ولزوجه .

« ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى » كان المفروض ــ خطابياً وأسلوبياً ــ ان يقول القرآن « **فتشقيا** » لكن القرآن عبر التعبير الموحي . التعبير الذى يعطى لكل واحد منهما مهمته فتشقى اى الشقاء لآدم وحده ، فكأن آدم **مخلوق للكفاح ولمقابلة صعاب الحياة ، والمرأة فقط مخلوقة سكن له .**

آدم يتحرك حركته فى الحياة ، ويأتى ليهدأ عندها . هى **مصدر العطف الذى يمسح بيده على كل متاعبه لتزول** فيستأنف الحياة بعد ذلك بشىء من النشاط .

الحق حينما قال : **« ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »** ..

فالمهمة الأساسية للمـرأة هى أن يســكن الرجل اليها .

كلمة يسكن اليها ، كلمة معبرة ، **معنى السـكن اليها** انه كان متحركا ، يكدح ويأتى ليسكن عندها ..

وبعد ذلك تجىء المهمة الثانية **« وجعـل بينـكم مودة ورحمة »** ..

وبعد ذلك يجىء البنون والحفدة ..

« والله جعل لكم من انفسكم ازواجاً ، وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة » ..

اذاً فالمهمة الأساسية للمرأة هى أن يسكن اليها الرجل . ولو قدرت المرأة هـذه المهمة ، لوجدتها تستوعب كل وقتها ، تعمل له .. وتعد له ما يرتاح به ، فيأتى ليجد بيته سـاكناً مسـتقراً ، كل اموره مرتبة ، وبعد ذلك تكون وعاء للتكاثر .

مهمتها مع ارقى الكائنات

وعمل الرجل هو التعامل مع اجناس الحياة : فهو يمكن ان يكون زارعاً يتعامل مع الأرض وما الى ذلك ، مع أشياء .. وهذه الأشياء كلها لخدمة الانسان . والانسان ارفع هذه الأجناس كلها .

ومهمة المرأة هى التعامل مع ذلك الجنس الراقى وهو الانسان كزوج ، وكجنين ، كجنين فى بطنها وكوليد تحمله وتعطى له المثل وتربيه . اذاً فالرجل يتعامل مع الأشياء التى دون الانسان والمرأة تعاملها الأساسى مع الانسان . وحين ننظر الى طفولات الحيوانات نجدها كلها قليلة وأطول طفولة هى للانسان . الطفولة هذه ميدان عمل المرأة فما دامت الطفولة زادت ، لأنها تزيد بقدر المهمة .

والحيوانات الأخرى مهمتها دون مهمة الانسان . وطفولة الانسان تتناسب مع مهمته ، لأن مهمته عالية .. فهو أرفع الأجناس على الأرض ليستطيع أن يمد بكل المبادىء والقيم والأشياء التى تعينه على هذه المهمة .

من الذى يتعامل مع الطفل ؟ .

الرجل يخرج الى عمله ، والطفل مع أمه الى أن

يذهب الى المدرسة ؛ فى سن السادسة مثلا ، والى سن السادسة يكون العقل فارغا . والمثل تبدأ تملؤه .

من الذى يملؤه ؟ !

فاذا كانت الأم مشغولة بأى عمل من الأعمال .. ويعنى ذلك انها ستتركه الى راع ، الى خادمة مثلا . والخادمة قد تكون أمينة ولكن لا يمكن ان يكون لهــا قلب الأم .

وقرات فى كتاب « أطفال بلا أسر » . وجدوا ان نمو الطفل متخلف لأنه يتعامل مع مربية .

أما اذا كان الطفل فى مجتمــع من ابيــه ومع امه واخوته المتفاوتين فى الأعمار ، ومع جدته وجــده . الطفل الصغير يلتقط من كل جيل ، وهذا سر القرآن فى انه قال ((**بنين وحفدة**)) .

والطفــل فى هــذا السن يتقبل مــن كل قطاعات الانسان : القطاع الكبير والمتوسط والصغير .

فالمراة مهمتها تعاونهــا مع أرفع الأجنــاس على الأرض فمهمة المراة سكن للزوج وبعد ذلك حضــانة للأطفال . وهذا يعطيها أشرف مهمة فى هذا الوجود . ويجب أن تأخذها المراة بشىء من الفخر وبشىء مــن الاعتزاز .

***

الأستاذ احمد فراج :

وماذا لو رغبت المرأة فى أن تخفف عن الرجل بعض هذا الشقاء ؟ الا يكون ذلك محمدة لها ؟ أى تقوم بواجبها كسكن وتؤدى رسالة المودة . والرحمة .. والى جانب ذلك تخفف بعض هذا الشقاء عن الرجل ؟

فضيلة الشيخ الشعراوى :

هى فى الواقع لم تخفف عن شقائه ، . فهو مازال فى تعبه ، والحقيقة انه مازال شقيا وازدادت هى شقاء !! فهو لم يأخذ نصف عمل فى الخارج ، فمازال يعمل عمله . واذا تعللت بمشاركة الزوج فى عمله لتزيد الدخل لمستوى حياة اكبر فليس المفروض فى الانسان الذى له قيم سماوية **ان يفرض مستوى الحياة أولا** ، وبعد ذلك يحمل الدخول عليه . لا ، المفروض انه على قدر دخله يحدد مستوى الحياة، **والذى يتعب الناس هو أنهم يحددوا أولا مستوى الحياة** ، ثم اذا لم يكف الدخل يبدأوا فى عمل الأشياء الأخرى ، فقد ينحرفوا أو يرتشوا ، فالمستوى لا يحدد الا على أساس الدخل .

الأستاذ احمد فراج :

فى أغلب البلاد العربية والاسلامية لا يستطيع الرجل أن يحدد المستوى طبقاً للدخل .. لأن الدخل اصلا ليس متناسبا مع الطاقة ، فيمكن أن يشتغل فرد اشغالا شاقة ولا يدخل اليه العائد الذى يتناسب مع جهده .

فضيلة الشيخ الشعراوى :

هذا فساد فى نظام الحكم .

* * *

الأستاذ احمد فراج :

إنا انظر للقضية من زاوية اخرى : اثرها على دفع المراة للعمل ، فهل نفهم من كلام فضيلتك أن الاسلام يمنع المرأة من العمل ؟

اطار عمل المراة

فضيلة الشيخ الشعراوى :

الاسلام لا يمنع . لكن الاسلام واقعى ، بحيث الذى خلق الانسان ، يعرف أن هناك ظروفاً قد تضطر المراة للعمل .. ولكن الاسلام يعرضها فى حدود الضرورة فى اطارها ، وهذا الاطار بينه لنا فى قصة سيدنا موسى عندما ورد ماء مدين ووجد عليه أمة من

الناس يسقون ، ووجد امرأتان تذودان . تذودان بمعنى تمنعان ما ترعيان من الماء .. فلأى شيء خرجتا .. ؟ اذاً مادامتا تمنعان ماترعيان عن الماء . قال لهم سيدنا موسى : **« ما خطبكما » ؟ « قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء (١) »** معناه : أن الفتاتين وقفتا بعيداً لا تسقيان حتى ينتهى الرجال من سقى ماشيتهم ، وبعد ذلك يخلو البئر ..

اذاً فالفتاتان اخذتا الضرورة بالقدر .. اذا ليس معنى أن الضرورة أخرجتهما أن **يتناسيا نوعهما** فهما يدركان أنهما نوع لا يصح أن يحتك بالنوع الآخر ثم عللتا سبب الخروج **« لا نسقى حتى يصدر الرعاء ، وأبونا شيخ كبير »** ، فكان **« أبونا شيخ كبير »** تبرير لهذا العمل .

اذاً فالآيات تحدد أن ضرورة قد تلجىء المرأة للعمل ولكن حين تخرج لا تنسى نوعيتها ولا تزدحم فى ازدحام الرجال .

---

(١) أى حتى ينصرف الرعاة عن البئر .

مهمة المجتمع نحو المرأة

وبعد ذلك ، جاءت لقطة اخرى . وهى مهمة الرجل حين جرى ذلك او مهمة المجتمع ممثل فى رجل ((**فسقا لهما**)) سقا لهما : اى اعانهما على اداء مهمتهما حتى يسرعا بالرجوع الى البيت .. تلك مهمة المجتمع ممثلة فى فرد منه . فالمرأة التى اضطرتها ظروفها للخروج لعمل من الاعمال .. شهامة الرجل تقتضيه أن يؤديها عنها هذه المهمة لتنتهى ولا تجعلها تضطر أن تزدحم مع الناس فى الحياة ..

اذاً ((**فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال ربى انى لما انزلت الى من خير فقير**)) هذه لقطة من قصة تدلنا على أن القرآن عرض هذا العرض ليدلنا على ان المرأة قد تضطرها ظروفها الى أن تخرج ولكن ظروفها التى اضطرتها الى أن تخرج يجب الا **تخرجها عن نوعيتها** ، بحيث تحتسب نفسيها رجلا بل تأخذه بقدرها ما أمكن الى أن ينتهى الرجال وتؤدى مهمتها . وبعد ذلك جاءت بالعلة ((**وابونا شيخ كبير**)) . وبعد ذلك جاءت بالمجتمع ، المجتمع سواء كان مجتمع قريب او مجتمع بعيد ، مجتمع الأسرة الذى يعتبر أن المرأة من لحمه ودمه ، اذا خرجت لتعمل فيغار على هذا . اما اذا

لم تجـد فلا مانع لأن تذهب على ان تأخـذ الضرورة بقدرها وان لا تزيد فيها .

ومســألة خروجها .. صـحيح هى منعت مـن الزحام ، وخروجها ومرورها يلزمها الشارع (١) بشىء آخر ، **وهو أن تكون على هيئة غير مثيرة** ، وهذه هى الحدود على حديتها . والتشريعات دائما حين تنظر اليها .. لا تتعرض لعملية الادراك ولا تتعرض لعملية الوجدان .. انما تتعرض لعملية واحدة وهى عملية النزوع . وعلماء النفس قسموا مثلا مظاهر الشعور الى ثلاث أقسام ، قالوا ان الانسان يرى وردة جميلة فى البستان .. رؤيته لهذا ادراك ، فاذا أعجبه ذلك وأحبه ، فهذا وجـدان . وجـد فى نفسـه أثر لذلك الادراك فيـذهب ليقطف تلك الوردة وهى عمليـة النزوع . وهنا يتدخل القانون .

---

(١) اى المشرع [وهو الله سبحانه]

اقسام الشعور

اذاً الشعور ينقسم الى ثلاثة اقسام : الادراك ، ثم الوجدان ثم النزوع .

والتشريع انما يتعرض لحالات النزوع .. ولا يتعرض لحالات الادراك والوجدان الا فى مسألة واحدة : فيما يتعلق برؤية الرجل للمرأة لأنه ليس من الممكن ان افصل عملية الوجدان عن النزوع ..

انسان رأى امرأة جميلة : . وهو رأى .. اذاً ادرك واستقر فى نفسه اعجاب هذا الاعجاب هو موتور داخلى عمل فى نفسه عملية نزوعية لا يمكن ان نفصل العملية الوجدانية عن النزوعية كما نفصلها فى حالة الوردة . فالاسلام يمنع عملية الادراك من الاساس . فلو ابحت لك الادراك وحرمت عليك النزوع ستعيش فى قلق وفى تعب .

فلأن الله هو المشرع الرحيم العارف للنفوس يمنع الادراك لأنه لو نظر الرجل للمرأة واعجبته ماذا يكون الموقف : الموقف يعلمه الله . ونعلمه جميعاً من واقع الحياة . ولذلك يقول شوقى :

نظرة ، فابتسامة ، فسلام   فكلام فموعد فلقاء

الاسلام يؤمن حياة المراة

والتشريع منع الادراك حتى لا يحدث وجدان . لأنك لا تستطيع الفصل بين الوجدان والنزوع . فقال : « **يدنين عليهن من جلابيبهن** » . وقيل : غض من طرفك .

وأنت ايضا يا امراة اريد ان اؤمن حياتك بهذا التشريع . فالاسلام يؤمن حياة المراة . لماذا ؟

لأن الانسان المتزوج امراة ووصلت الى الاربعين او الخمسين وامراته تعرضت لعمليات الخدمة والولادة والرضاع . وأثر الزمن فى شكلها ونضارتها ، ثم اذا خرج الرجل الى الشارع .. فيرى فتاة فى مقتبل عمرها على أحسن ما تكون من الزينة وأحسن ما تكون من الشباب . ماذا يكون موقفه بالنسبة لها حين يراها ؟. ستلهب غرائزه بعد ما كانت غرائز طبيعية مع أهله . ولكن هذا المنظر الهب غرائزه . وعندما يعود الى امراته يبدأ فى **المقارنة** وهذه المسألة تؤدى الى فساد اغلب البيوت اذاً فالمراة فى الحالة الأولى وهى البنت الجميلة . ستصل الى هذه السن بعد خمسة عشر او عشرين سنة ، فنقول لها : لا تتبرجى حتى لا تلهبى **غرائز اناس تفسدين عليهم بيوتهم** . حتى عندما تصلى

الى هذا السن لا تاتى فتاة ــ لم تخلق بعد ــ لتفسد عليك بيتك ورجلك ، فالاسلام يقول لها : أأمن حياتك الثانية ، لأن بعد خمسة عشر سنة ستصيرين امرأة عادية يمكن أن تفسد عليك زوجك او ابنك فتاة فى مثل سنك ومظهرك الآن .

فالاسلام لكى يرحمها ويؤمن حياتها يمنعها أن تفسد على الناس حياتهم . حتى لا يأتى احد ويفعل ذلك بها .. والاسلام حين جاء ليحدد الادراك المسألة الوحيدة التى حدد فيها الادراك هى مسألة النظر إلى المرأة لأن العملية الوجدانيـة التى ينشـأ عنها النزوع لا يمكن فصلها ..

وبعد ذلك تفسد البيوت . ويأخذ فساد البيوت الوانا شتى والسبب الأصيل موجـود . ويجتمعون ليعالجوه فى غير داء . ولذلك الاسلام يريد أن يكرم المرأة ويجعلها فى مكانها فحين يحذر الاسلام على المرأة أن لا تتبذل ولا تتبرج ولا تبدي زينتها الا لزوجها .. الى آخر ما جاء فى الآية الكريمة . فهو يريدها أن تكون زوجاً تمثل السكن وأما تمثل الحضانة لأشرف جنس فى الوجود ، الا وهو الانسان .

وصايا أم اياس العشر

نصيحة أم اياس لابنتها : « اى بنية ، اعلمى لو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أهلهـا لكنت اغنى الناس ، ولـكن النسـاء للرجال خلقن ، ولهـن خلق الرجال . ويابنتى احفظى عنى عشر خصال تكن لك ذخراً :

اما الأولى والثانية : فالمعاشرة له بالرضى والقناعة وحسن السمع والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة : فالتفقد لموضع انفه وموقع عينه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشمن منك إلا اطيب ريح .

واما الخامسة والسادسة : فالهدوء عنـد منامه والتفقد لوقت طعامه فان مرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة .

وأما السابعة والثامنة : فالاحتفاظ بماله والأرعاء على حشمه وعياله .

وأما التاسعة والعاشرة : فاياك ان تعصى له امراً

او تفشي له سرا فانك ان عصيت امره او غرت صدره ، وان افشيت سره لم تأمني غدره ، واعطك بعد ذلك من الفرج ان كان ترحاً ، او من الترح ان كان فرحا .

زى المرأة المسلمة

يجب ان نقرر بادىء ذى بدء ان احكام الحجاب ما اثمرت ثمرتها ، وفعلت فعلها فى المجتمع الاسلامى الأول الا لأنها كانت تحرك ناساً آمنوا بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً وكفروا بكل أرباب الأرض حتى اشربوا فى قلوبهم روح الإسلام ومقاصده وغاياته ، وحتى غدت تصوراتهم ومعاييرهم ومقاييسهم اسلامية محضة ، فما يؤثره الله ورسوله ، وما يفضلانه ، وما يقرانه فى دنياهم هو الحق المبين الذى لا ريب فيه ، وسيأخذه المسلمون بكل قوة وسيتمثلونه فى حياتهم مهما كانت تصورات الناس مغايرة ، ومهما كانوا عتو عاداتهم ، وظلم تقاليدهم ، وطغيان ما شاع وذاع بين ظهرانيهم .. فالمسلم يتلقى أمر ربه ورسوله ويتحرك به توا ، ويمضى فى سبيله جادا حاسماً لا يهمه ما عليه هذه الكتل البشرية التائهة الضالة ، الذاهلة عن حقيقتها وعن مصيرها الأسود .

وهذا الايمان الأصيل الذى خالط بشاشة قلوب الرعيل الأول من المؤمنين هو الذى دفع نساء الأنصار أن يقيمن — فور سماع قول ربهم « **وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او**

آبائهن أو ٠٠ » ـ الى مروطهن فيشـــققنها ويعتجرن بها حتى جئن فى صـــلاة الغداة وكأن على رؤوســـهن الغربان . . وهكذا اثنت عليهن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها . فلم تتعلل واحدة بخوف ذهاب الأناقة ولم تعلل اخرى بقســـوة القيظ ســـيفاً فى تلك الجـــزيرة المجدبة . . ولم تقع منهن كلمـــات العصرية . وكانت امهاتنا . . وكان الناس . ولم تتشدق واحدة قائلة : اقنعونى بضرورة هذا الأمر .

وما لاذت احداهن بالتحررية والانطلاقية وغيرهما، مما املته الشياطين على ابناء هذا الزمن المنكوبين .

يكفيهن ان هذا الأمر « **وليضربن** » منزل من عند ربهن وجاء من فوق سبع سموات ليحرك ذلك المجتمع المبارك فى اتجاه يرضاه الله ويمقت ما عداه مقتا كبيراً.

واذا اردنا الآن أن نعيد التجربة بالنجاح نفســـه فلا بد من تهيئة اسباب هذا النجاح ، لا بد أن يكون جهاز الاستقبال معافاً من العطب حتى ينفعل باشارات الارسال بطريقة مرضية .

اذاً لابد أن يـــكون الموجه اليهـــم هـــذه الاحـــكام والتعليمات بالقوة الايمانية والخلقية ذاتها التى كان عليها فضليات الاسلام الأوليات ، وبقدر التفاوت فى هذه القوة يأتى التباين فى النتائج فمنهن من سوف يذعن اذعانا كاملاً لأمر ربها ، وستكون حيث يريدها وهؤلاء

سيخلدون فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، ومنهن من سوف تؤمن ببعض وتكفر ببعض ، وما جزاء من يفعل ذلك منهن الا الخزى ، ومنهن من سوف تكفر به كله وتتولى على أعقابها ، وهؤلاء سيذقن عذاب الهون بكفرهن ان شاء الله .

وبعد ذلك فلنمض قدما ، ولنستعرض معا صورة الحجاب الاسلامية من واقع كتاب ربنا وسنة نبينا الصحيحة ، وبالنظر فى تأثير هذه الأحكام فى المجتمع الأول المبارك وكيف تحرك بها بعد فهمها .

١ - القدر الذى يجب أن يستره الثوب .

(١) يقول الله تعالى :

« وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو .. ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » ..
« فالخمار » هو غطاء الرأس « والجيب » هو النحر مع مقدم الصدر . والمطلوب أن يضرب غطاء الرأس على النحر والصدر .. كيف ! ؟

انكن أكثر دراية منا فى هذا الشأن .

وهذه الآية الكريمة تعطى حدود الصورة من أعلى ولكن أين حدودها من أسفل ؟ والجواب فى الآية ذاتها

« ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ».
فزينة الأرجل هي الخلاخيل ولما كن يخفينها بأثواب سابغة كما تدل الآية الكريمة فانهن كن يضربن بأرجلهن حتى تعلن هذه الزينة عن نفسها من وراء حجاب . اذاً فلا بد بموجب هذه الآية الكريمة ستر الساقين حتى مكان الزينة منها . أى العقبين .

(ب) يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : عندما دخلت عليه أسماء بنت أبى بكر بثياب رقاق قال : (يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا) ، وأشار الى وجهه وكفيه .

وتحكى السيدة عائشة (كن نساء المؤمنات يشهدن مع النبى صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر متلفعات بمروطهن ثم ينقلبن الى بيوتهن حين يقضين الصلاة لا يعرفن من الغلس) .

وهذه الحكاية للسيدة عائشة ، والأخرى التى اثنت فيها على نساء الأنصار لحسن امتثالهن لأمر ربهن ، ليدلان على كيفية ترجمة هذه التوجيهات من الله ورسوله الى سلوك وواقع فى صفوف المؤمنين .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديث : (من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة) فترد أم سلمة : فكيف يصنع النساء بذيولهن ؟ فيقول (يرخين شبرا) . فتجيب : اذاً تنكشف أقدامهن .

فيقول نبي الله صلى الله عليه وسلم : (فيرخينه ذراعا لا يزدن عليه) فمعنى الكلام ان الواحدة من المؤمنات كانت تجر ثوبها وراءها على الأرض فحذر الرسول من ان تفعل احداهن هذا للاختيال والدلال ، ويرى صلى الله عليه وسلم أن ترخي الواحدة ثوبها شبرا من نصف الساق او الكعب ـ حسب المفسرين ـ ولكن تخشى أم سلمة من ظهور القدم والرسول يأبى ايضا ان يظهر القدم ، فيزيد القدر الذى يرخى الى ذراع ولا زيادة . لأن فى ذلك ما يكفى لتغطية قدم الواحدة مهما بلغت من الطول ، ويترك مجالا للاختيار من الشبر الى الذراع حسب ما يقتضيه طول الواحدة . ، فهو لا يحب أن يجر الثوب اختيالا ولا يحب كذلك ان يرى القدم ، وعلى المسلمة أن تتخير السبيل الذى ينأى بها عن الوقوع فى احد هذين المحظورين .

ولكن هل ظهرت آثار هـذه التعليمات فى المجتمع كذلك أم وضعت النساء اصابعهن فى آذانهن وانقلبن على أعقابهن ؟ !

نعرف الاجابة من هذه القصة :

تأتى أم ولد لابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الى ام سلمة وتسألها : انى امـرأة أطيل ذيلى وأمشى فى المكان القذر ؟ فترد مسلمة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يطهره ما بعده) فأم سلمة سمعت الاجابة آنفا من الرسول ، اذن فلابد إنه سئل عن حل لهـذه

المسألة من نساء أطلقن ذيولهن وصادفهن القدر فى الشوارع وهذه الأخرى تلتمس حلا عند ام سلمة ، اذاً فلا مفر من التسليم بانها كانت ظاهرة ماضية فى هذا المجتمع الطاهر من هذا العرض السريع يبدو جلياً أن المسلمة لا يحل لها أن تظهر سوى الوجه والكفين من اعلى ، ولا تظهر حتى القدمين من اسفل .

٢ — ولكن هل ستر هذا القدر المشار اليه بأى ثوب يكفى ، أم أن هناك شروطاً أخرى يجب أن تتوفر فى الثوب قبل أن يسمى ثوباً اسلامياً ؟

هناك شروط أخرى منها :

١ — الا يكون الثوب نفسه زينة ، وهذا الشرط يستقى من مفهوم عموم قوله « **ولا يبدين زينتهن** » . وقوله « **وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** » وقوله صلى الله عليه وسلم (ثلاثة لا تسأل عنهم : رجل فارق الجماعة وعصى امامه ومات عاصيا ، وامة او عبد ابق فمات ، وامرأة غاب عنها زوجها قد كفاها مؤونة الدنيا فتبرجت بعده . فلاتسأل عنهم) .

٢ — أن يكون صفيقا لا رقيقا :

لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (سيكون فى آخر امتى نساء كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت المنوهن فانهن ملعونات) وفى حديث غيره زاد

(لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وان ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا) .

ولقصة حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر لما رأتها السيدة عائشة بخمار رقيق فشقته وقالت أما تعلمين ما أنزل الله فى سورة النور ؟ ثم دعت بخمار فكستها .

٣ ــ الا يكون مجسداً لهيئة الجسم :

لقول اسامة بن زيد : كسانى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبطية كثيفة مما اهداها له دحية الكلبى فكسوتها امرأتى فقال مالك لم تلبس القبطية فقال : كسوتها امرأتى ، فقال : مرها فلتجعل تحتها غلالة فانى أخاف أن تصف حجم عظامها . فالرسول يخشى على نساء امته ان يلبسن ثيابا تصف الحجم ، وهذا يختلف عن الشرط السابق الذى يخشى فيه ظهور اللون لرقة الثوب .

٤ ــ الا يكون معطرا مبخراً .

لقوله ((ايما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهى زانية)) .

٥ ــ يجب الا يشبه لباس الرجل :

لقوله : (ليس منا من تشبه بالرجال من النساء ، ولا من تشبه بالنساء من الرجال) .

٦ ـ الا يشبه زى الكافرات : لان المسلمين مطالبون فى كثير من آيات القرآن الا يتبعوا أهواء الكفار بعد ما جاءهم من البينات من ربهم . وكان صلى الله عليه وسلم يتحرى مخالفتهم فى كل شىء حتى فى الهيئات البسيطة مثل فرق الشعر أو إسداله .

وقد قال عبد الله بن عمرو بن العاص (رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ ثوبين معصفرين فقال : ان هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها .

٧ ـ الا يكون ثوب شهرة :

لقول النبى صلى الله عليه وسلم : (من لبس ثوب شهرة فى الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألهب فيه ناراً) .

* * *

والآن فانى لا أعرف من تزعم الايمان بالله واليوم الآخر بعد كل هذا وتصر على ما هى فيه مستكبرة وكأنها لم تسمع شيئاً **« ويل لكل أفاك أثيم ، يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها ، فبشره بعذاب أليم »** .

الطـــريق الى اللـــه

احمدك ربي واستعينك وأسألك أن توفقني في كل ما آتي من الأمر وفي كل ما ادع ، فكما جعلت يارب صـمتي زمناً طويلاً فكراً ، فاجعـل نطقي لك ذكرا ، فانك سبحانك تعبد بالصمت قبل أن تعبد بالمنطق ، واصلي واسلم على سيدنا ورسولنا محمد رحمة الله للعالمين الذي وصـفه ربه فقال ((**يؤمـن بالله ويؤمـن للمؤمنين**)) ، (التوبة : ٦١)

وبعد فيعلم الله ما تحملته في سبيل وفائي بهـذا اللقاء ، ولولا اني أقدر عمل أبنائي الشباب تقـديرا ايمانياً لما استطعت أن اجيبهم الى هذا الموضوع والحق أن استجابتي لابنائي الشباب استجابة فرضـها على ايماني بربي لأن الايمان في ذلك العصر يتعرض لمشاكل:

- اما مشكلة الايمان بالله ..
- واما مشكلة البلاغ عن الله ..
- واما مشكلة التوثيق بالله ..
- واما مشكلة الفهم عن الله ..
- واما مشكلة الاسلام لمنهج الله ..

وكل مشكلة من هذه المشاكل لها بيئتها ولها محيطها ولها مروجوها ولها المدافعون عنها ولكن للأسف كل السلبيات هى القوية . وكل الايجابيات هى الضعيفة . لأننا فى عصر فتن بعقله ، وهو سطحيا معذور فى أن يفتن بهذا العقل . وفتنته بعقله ولدتها انتصاراته فى ميادين الكشف وفى ميادين الاختراع وفى ميادين ايجاد راحات متعددة للناس فى أعمالهم الحياتية ، ولكن لو أن الحياة وحدها هى الغاية لهان الأمر فى هذه الفتنة ، ولكن الأمر لا يتعلق بهذه الحياة فقط فوراءنا حياة أخرى لا يشك العقل فى ضرورة وجودها فضلا عن أن يكون ذلك تلقيا من ايمان بالله عند المؤمنين بها ، فالذين يسرفون على أنفسهم ويهلكون المجتمعات بانحرافاتهم ويسومون المجتمعات سوء العذاب . هؤلاء لو أن الحياة هذه هى كل شىء ماذا كان الدخر لمثل هؤلاء ليحاسبوا على ما قدموا من انحرافات ومظالم ومتاعب فلو أن هذه الحياة النهائية ولا حياة بعدها . اذا فقد كسب المنحرفون الذين أطلقوا لشهواتهم العنان فى أعراض الناس ودمائهم وأموالهم ، هؤلاء قد أخذوا حظهم وأخذوا متعتهم فى الحياة وهى هذه الحياة .

اذاً فما اشقى الذين التزموا بمبادىء الحق ومناهج الخير ومبادىء الجد . كل هؤلاء ما اشقاهم لانهم امتعوا غيرهم وظلوا هم محرومين فى حياة هى الحياة ولا حياة بعدها . فمنطق العقل اذا مجرد عن الدين يوجب ان نؤمن بأن وراء هذه الحياة حياة . يجازى فيها الانسان باحسانه ويعاقب فيها الانسان على سيئاته . ولو لم يكن ذلك كذلك لهان امر القيم وهان امر المبادىء الحقة وهانت أوامر الخير .

والقيم يا ابنائى ويا اخوانى هى القيم حتى عند المنحرف ، فالصادق محترم حتى عند الكاذب . والمستقيم محترم حتى عند المعوج .

القيم هى القيم

وقد ضربت مثلا لأبنائى .. أنتم ثلاثة .. اثنان اتفقا على الانحراف . وواحد اعتزلهما وظل فى قيمه، وفى مبادئه ، وفى اخلاقه .

فاذا صح ان واحداً من الاثنين المنحرفين له اخت ، واراد صديقه المنحرف ان يخطبها لنفسه ، واراد الجاد الذى اعتزل منهما ان يخطبها لنفسه فاسالكم بالله لمن يقبل خطبتها . للصديق المنحرف ام للذى جانبهما وظل فى حقه ، وخيره ، وجماله .

لا اشك شك فى انه سيؤثر الثانى .. لماذا ؟ لان المسألة مسألة قيم تمسه فحينما مسته لجأ للقيم فهو لا يأمن المنحرف على اخته لماذا ؟ لأنه يعرف نظرته للقيم والخير .

والقيم هى القيم كما عرضها القرآن الكريم لتمثل فى لقطة بسيطة من سورة يوسف .. هذه اللقطة تبين لنا ان القيم هى القيم حتى عند المنحرف .

يوسف عليه السلام دخل السجن ، ودخل معه السجن فتيان .. فقال احدهما ((انى ارانى اعصر خمرا ، وقال الآخر : انى ارانى احمل فوق راسى خبزا تاكل الطير منه .. نبئنا بتاويله .. انا نراك من المحسنين)) ، (يوسف : ٣٦) .

اذا كان هذان الفتيان يريان يوسف من المحسنين .. فبأى ميزان من موازين الاحسان قيما يوسف وهما سجينان . وسجينان على مخالفة .. وهما اقتنعا بأن طلبهما عند يوسف .. ولماذا ؟ لأنهما رأياه من المحسنين اذاً فهما قد نظرا الى سلوكه . والى سمته والى كل تصرفاته فراقتهما هذه التصرفات ، واعجبهما ذلك السلوك لو لم يكن عندهما مقياس

للاحسان لما استطاعا ان يقيما فعل يوسف حتى يقولا فيه: انه من المحسنين .. اذاً فهما رغم انحرافهما يعلمان الاحسان ويعلمان القيم التي تقيم الاحسان .. وحينما اضطرتهما ظروفهما الخاصة الى ان يلجئا الى الاحسان لجئا الى الاحسان لأنهما لا يغشان نفسهما في امور تتعلق بهما . فذهبا صاغرين الى يوسف .. وقالا : نبئنا بتأويله ، وحيثية الطلب **((انا نراك من المحسنين))**

اذا فالقيم هي القيم حتى عند المنحرف .

ولكن الذي يسهل للمنحرف الخروج عن القيم هي الشهوات العاجلة والنفعيات الطارئة دون نظر الى خير يراه صاحب الشهوة خيراً يعقبه شراً وقديماً قيل : لا خير في خير بعده النار ، ولا شر في شر بعده الجنة .

منهج الداعية الى الله

فماذا كان موقف يوسف عليه السلام كداعية الى الله .. ان يوسف عليه السلام يعرضه القرآن داعية ، ويعرض هذه النقطة من قصته ليعلمنا كيف ندعوا الى الله .

كيف دعا يوسف الى الله . استغل يوسف حاجة الفتيان فلم يقل لهما طلبهما اول الأمر ، ولم يقتصر عليهما تأويل رؤياهما .. لأنه اراد أن يستبقى شعورهما .. واحساسهما .. وعواطفهما وفكرهما معه حتى يفرغ هو من مهمته الأساسية .. وكان من الممكن بعدأن اطرى بقولهما « انا نراك من المحسنين » ان يأخذه الزهو بتلك الشهادة منهما وأن يقول لهما ما يريدان ، ولكن يوسف لا يريد هذا عند هذين .. انه يعمل لحساب قوة أخرى يريد منها الجزاء . يعمل لحساب الحق .. يعمل لحساب الله . فاستغل حاجتهما له . واستغل انصاتهما واستغل شعورهما واحساسهما ليقول ما يمليه عليه موقفه كانسان نبى أو كانسان منحدر من أصلاب نبى ، فماذا قال لهما ؟

انظروا الى براعة الداعية الى الله قال : وماذا رأيتم من احسانى ، أرأيتم سلوكا مهذبا أرأيتم منطقا حسنا، أرأيتم سمتا متواضعا ، كل ذلك هين فى سبيل ما عندى من كنوز الاحسان ، فأنا عندى من كنوز الاحسان فوق ذلك ، فماذا قال لما قالا **« انا نراك من المحسنين »** قال : **« لا يأتيكما طعاما ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما »** ، (يوسف : ٣٧) . كما أن احسانه احسان من نوع آخر ، احسان من نوع الانسان الذى كشف الله له حجاب الستر فى الأشياء ، واعلمه بغيب من غيبه ، فهو يقول لهما أنبئكم بالأكل الذى تأكلانه غدا .. فكأن احسانى ليس ـ بشهادتكما ولكن احسانى بشهادة الحق الذى جعلنى موضعا امينا يأتمنني فيه على أسرار غيبه فيقول لهما : أنبئكم بالأكل الذى تأكلانه غدا .. فكان احسانى ليس بشهادتكما ولكن احسانى بشهادة الحق الذى جعلنى موضعا امينا يأتمني فيه على أسرار غيبه فيقولها لى .. وهو بذلك يريد ان يضخم الاحسان بمقياس أعلى من مقياسهما : **« لا يأتيكما طعاما ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما »** ، وبعد ذلك لم يدع غرورا .. ولا فقها .. ولم يدع أن ذلك خصوصية له بل قال : ذلكم مما علمنى ربى . وعلمنى ربى لماذا ؟ لأنى

تركت ملة قوم لايؤمنون بالله ، الى آخر ما قال .
« **واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسماعيل** » الى أن قال ما قال .

اذا فالمنهج الذي جعلنى من المحسنين كما قلت ، ويجعلنى اهلا لائتمان الله لى على اسرار غيبه كما اخبرتكم ، ليس لذاتية فى، ولكن لمنهج تقلينه من الله نعملت به ، ومن الممكن ان تكونا مثلى فى أن تتركا ملة قوم لا يؤمنون بالله ، وان تقبلا على ملة الانبياء والرسل الذين بلغوا عن الله ، وبعد ذلك يدخل فى صميم القضية الايمانية .

« **الرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار** » .

اربابكم المتفرقون المتعددون كان من الممكن ان يعينا كما على ما تطلبان ، فلماذا تركتم اربابا متفرقة ولجأتم الى عبد بسيط لرب واحد ؟

ان القيم هى القيم حتى عند المنحرف ..

« **الرباب متفرقون خير ام الواحد القهار** » ، وبعد ذلك قال : حينما فرغ من القاء شحنته الايمانية :
« **يا صاحبى السجن اما احدكما فيسقى ربه خمرا** ،

واما الاخر فيصلب فتأكل الطير من راسه . قضى الأمر الذى فيه تستفتيان » ، (يوسف ، ٤١) .

اذاً فقد ادخر الجواب الذى يهمهما الى أن افرغ شحنته الايمانية ، وافرغ شحنة الدعوة الى الله ، واستغل حاجتهما استغلالا حسنا ، وبعد ذلك عزى كل شيء أتى به الى ايمانه بربه ، والى ايمانه بمنهج ربه ، كذلك يجب أن يكون شأن الدعاة أسوة حسنة **أولا تلفت الناس الى ما هم فيه من قيم الخير .. فان التفت الناس الى ما فيهم من قيم الخير سألوهم لماذا انتم كذلك ؟ فيقولوا : لأننا مسلمين ، ولذلك يقول الحق فى ذلك « ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين »** ، (فصلت : ٣٣).

اذاً فكل عمل خير يعمله الانسان يجب ان يعزوه الى دينه يجب ألا تعمل العمل وتقول انه من عبقريتى وابتكارى واختراعى . ما دام اسلامك يتسع الى أن يكون فيه مثل ذلك . لماذا استحى لماذا لا تقول : ذلك هو مبدأ دينى وهو مبدأ اسلامى . لماذا اذاً جاء مبدأ من مبادىء الخير من أى دولة صادف أن اتفق البشر مع منهج السماء .. لماذا تقول انها .. لأنها .. لماذا لا تقول لأنها اسلام . لماذا لا يلقن ابناؤنا : ان دعوات

الخير انما تقدم اليهم من أديانهم .. فاذا كان ذلك هو شأن الداعية فيجب أن يكون ايضا شأن المنفعل بالداعية لأن الفاعل شيء والمنفعل به شيء آخر .. الفاعل شيء ، والقابل شيء آخر .

كل حدث من الأحداث ينشأ من عنصرين . عنصر فاعل ، وعنصر قابل . وقد يكون الفاعل واحدا ، ولكن القابل مختلف فيأتي الأمر على الضد وعلى العكس مع ان العقل واحد .

القرآن الكريم كلام الله ، ولكن الله يقول فيه « **ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ، أاعجمي وعربي ، قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى** » ، (فصلت : ٤٤) اذاً فالقرآن واحد ولكن القابل شيء آخر .

القابل الذي يستقبل القرآن على أنه منهج الله هو الذي يشفيه ، أما القارىء الذي يقرأ القرآن على أنه كلام محمد صلى الله عليه وسلم ويؤمن بأنه من عند محمد صلى الله عليه وسلم . أو يقول هو ليس من عند الله ، أو يقول إساطير الأولين اكتتبها . أيمن الله عليه بشيء من الفتح ليفقه عن الله فيه ؟ لا ، ان الله

يضن بمثل هذا القلب أن يفتح اليه بابا من أبواب الخير لكلامه .

وايضـا الفاعل شيء والقابل شيء آخـر حتى فى تجاربنا .

انت تأتى الى الشمعة المضيئة فتنفخ فيها لتطفئها .. وتأتى فى النار فتنفـخ فيهـا لتؤججها فما هـذا التناقض ؟

نفخة تطفىء. ونفخة تؤجج . ونفخة واحدة ولكن القابل مختلف .. اذاً فعلى الفاعل أن يهىء القـابل للفعل فاذا ما هىء القابل للفعـل . يمكن أن يـكون الفعل مثمراً فى ذاته .

فاذا أردنا أن يكون القابل قابلا للفعل فانا نأمره بأقل مبادىء الحق ، انك حين تستقبل قضية خارجة لا تستقبلها وقلبك مقتنع بقضية أخرى مناقضة لأنه **« ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه »** ..

(الأحزاب : ٤)

ومادام القلب وقد شغل بحيز قضية معتقد بهـا فلا يمكن لقضية أخرى أن تدخل .

فلكي يكون القابل قابلا يجب أن نقول له العدالة تقتضي أنك حين تقارن بين أمرين لتعرف الخير منهما يجب أن تخرج الأمرين من قلبك أولا ثم ناقشهما مناقشة موضوعية وبعد ذلك صاحب الحق له الحق فى أن يستقر فى الوجدان . .

اما ان تناقش قضية وانت فى ذات الوقت مقتنع بقضية اخرى مناقضة فهذا ليس بالعدل . . ولا تكون هناك فرص متكافئة للموضوعين .

ابحثهما معا خارج قلبك وانت لا محالة مهتد الى الحق . وقد يكون الاهتداء بالنسبة الى نفسك والى ذاتك . وقد يكون الاهتداء نتيجة لمشاورتك لمن تثق بعقله . . ولكن المسألة طرحاً جماهيرياً ، فان طرح المسألة طرحاً جماهيرياً يكسبها غوغائية . . لماذا ؟ لان صاحب الباطل مستتر ولكن اذا اردت ان تناقش قضية ، اما أن تناقشها ذاتيا ان كنت اهلا بنقاش القضايا ، واما أن تختار واحدا لتناقش القضية معه. ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى للقوم الذين كذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم .

« قل انما اعظكم بواحد . ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة » (سبأ - ٤٦) . مثنى وفرادى لماذا ؟ .

لأنه اذا تناقش اثنان فان الحق فى النهاية مع احدهما والمنهزم سيدرك الحق فى مسألة النقاش دون تعريض به أو تشهير اذا مانوقشت المسألة جماهيريا .

وان الذى يجعل اللجاجة فى الخصومة بين أمرين قويا وعنيفاً أن اثنين يتناقشان فى موضوع أمام جماعة فيدخل فى النقاش عنصر ليس من حقيقة النقاش . وهو اعتزاز كل انسان منهما بان يكون هو المنتصر ، وخوفه أن يكون هو المنهزم امام الجمهور ، فحين لا يوجد جمهور يكون الانسان قد أمن على نفسه خزى الانهزام امام الغير وانهزم أمام حق بثمن عرفه وهو الحق ، ولذلك كل نقاش بين اثنين دائما ما ينتهى الى وفاق . اما اذا زادت جمهرة النقاش عن اثنين فانك لا تظفر للحق بطائل . لأن كل واحد ستأخذه العزة بالاثم منهما ويحاول جاهداً أن يأتى لرأيه بأدلة حقاً او باطلا حتى ينتصر على خصمه . اذاً فنفسه أعز عليه من الحق ، وقليل من الناس هم الذين الحق أعز

عليهم من انفسـهم .. فاذا اردنا ان نناقش قضـية الايمان فهل نناقشها ثنائية ، ام كيف نناقشها ؟ .

انها مناقشة ولى الامر فى البيت عنـدما يقترب الابن من سن الرشد والتفكير . حينئذ يجب عليه ان يعرض قضية الايمان عرضاً جديداً ليكون ايمانه عن اقتناع وليس عن تكليف ، فاذا ما استقبل الشـاب قضية ايمانه استقبال اقتناع لا يمكن ابدا للأهـواء ولا للانحرافات ان تصل اليه لأنه ستكون عنده مناعة، اما ان يعتبر الأب ان مسالة الايمان مسالة طبيعيـة لا يجب ان تدخل الى النقاش ، فانا نقول له ان مسالة كمسالة اختيار الكلية المناسبة لابنك تحتاج منكما الى نقاش واستشارة ويشترك فيه اكثر من طرف ، وقد تشترك فيه الأم . فما اهون هذه المسـائل بالنسـبة لقضية مصيرية .. كقضية الايمان ..

ويجب على اولياء الأمور ان ينتبهوا الى ان هـذا يخفف عنهم العبء ، عبء اللجـاج والجدل بعـد ان يكونوا قد نشـأوا ابناءهم ، فرأوا مظاهـر الاسـلام وسمعوا اسم الله كثيرا ، وسمعوا اباهم يقرأ القرآن . سمعوه يبدأ كل شيء بسم الله .. ويختمه بالحمد لله ،

واذا راى خيرا فى ماله وولده قال ما شاء الله لا قوة الا بالله : فان الابناء سيتربون على خميرة ايمانيــة فى الوقت الذى لا يوجد عندهم عقل العناد . ولا عقــل المكابرة . وبذلك تكون مهمة النقاش لأن خميرتهـم ايمانية ، وســلوك البيت ايمانى . فاذا ما عرضــت قضية الايمان فما ايسر ان يقتنع الأبناء وحين يقتنع الأبناء ذاتيا بقضية الايمان يقبلون عليها على انها من عملهم الذاتى لا من تراث ورثوه من آبائهم . وآفــة اسلافنا اليوم أنه موروث عن الآباء ، فاذا اردنا ان نعرض القضية نعرضــها ونقــول : ان الايمــان بالله ضرورة ، ضرورة عقلية ، وضرورة اجتماعية ، وضرورة سياسية ، وضرورة لغوية .

الايمان ضرورة لغوية

قد تعجبون من ان الايمان ضرورة لغوية لأن ذلك قد يكون تعبيرا جديدا فى عرف الاستدلال على الايمان بالله . اما انه ضرورة عقلية او نفسية او اجتماعية او سياسية فقد عرض عليكم . اما ان يكون ضرورة لغوية فذلك هو العجيب .. وأنا أريد أن أركز فى هذا اليوم فقط على هذه المسألة بالذات . فما هى اللغة ؟

اللغة هى ألفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم . فالعربى يتكلم بالفاظ عربية .. والانكليزى بالانكليزية والفرنسى بالفرنسية .. فلو أن ولدا عربيا نشأ فى بيئة انكليزية ، لتكلم الانكليزية .

اللغة بنت المحاكاة :

اذا فاللغة بنت المحاكاة وما تسمعه الأذن يحكيه اللسان ، فاذا لم تسمع الأذن شيئا فليس للسان ما يقوله ولذلك تجد أن الأبكم لابد أن يكون قد سبق بكمه صمم ولذا يقول تعالى « صم بكم » اذا فاللغة

بنت المحاكاة ، ومادمت انا اسمع اللفظ من المتكلم فان كنت اعرف ما وضع له من المعانى فقد عرفته ، واحيانا نتكلم بلفظ عربى ولكن من الجائز ان السامع لم يقف على مدلول ذلك اللفظ العربى . فلا يفهم شيئا واظنكم تعرفون قصة فى اللغة اسمها (قصة زقفيلم) فما « قصة زقفيلم (١) » ؟

ابو علقمة رجل متقعر فى اللغة ولا يتكلم الا بالغريب والحوشى منها ولسانه الف هذه المسألة . وكان عنده خادم ، والخادم حصيلته من اللغة الضرورة . لكن أبا علقمة غلبه طبعه يفاجىء الخادم بألفاظ متقعرة موغلة فى الغرابة ، فاستيقظ ابو علقمة مرة فقال : ياغلام — الى هنا ياغلام فهمت — أصعقت العتاريف . فلم يفهم الغلام شيئا . فقال له الخادم ماذا تقول ؟ قال : أصعقت العتاريف . لكن الغلام كان غلاما ذكيا طالما عناه ابو علقمة . فأراد ان يؤدب ابا علقمة ، فقال : زقفيلم ! فقال ابو علقمة : وما زقفيلم ! ؟ — لاول مرة يستفهم ابو علقمة عن لفظ لغوى . ! — فقال له الخادم وانت : وما أصعقت

---

(١) قصة زقفيلم [قصة ادبية طريفة] .

المتاريف قال ابو علقمة : قصــدت ياغــلام اصاحت الديكة . فرد الخادم : وأنا قصدت لم تصح ! .

اذا فاللفظ اللغوى حتى فى اذن العربى ان لم يكن الذى يسمعه يعرف معناه قبل سماعه فانه لا يفهــم شيئًا ، وما دامت اللغة كذلك فهل توجد المعانى أولا ثم توضع لها الألفاظ . أم توجد الألفاظ أولا ثم توجد لها المعانى ؟ . نلجأ الى العقل ، توجد المعانى اولا ثم توجد لها الألفاظ . اذاً فالمعنى يوجد أولا ثم يوجد له اللفظ ، فالأمور القديمة المحضة لا توضع لها الفاظ أبداً . لفظ « تليفزيون » قبل أن يظهر لم يكن له اسم عندنا . لما وجد المدلول اضطرنا أن توجد له اسم ، وجلس مجمع اللغة يتكلم ويبحث له عن اسم . اذاً فالمعنى يوجد اولا ثم يوضع له اللفظ ثانيا . ولذلك لما يأتى القرآن فى قضية تعليم آدم الأسماء نجد أن الحق سبحانه عرض المسميات وهى معانى الأســماء على الملائكة وقال (انبئونى باسماء هؤلاء) اذاً لابد أن « هؤلاء » تلك هى التى تعبر عن المعانى ؛ توجد اولا وبعد ذلك توضع لها الأسماء . اذاً الله حينما علم آدم الأسماء قال له هذا شيء اســمه كذا . اذاً فالمعــانى توجد أولا ، ثم توجد لها الالفاظ ، سواء أكانت اللغة

توقيفية أو كانت اللغة تواضعية ، ولكن قد يأتى شخص ويقول : هناك عدميات لها أسماء فى اللغة او مثل كلمة الغول . فأنت تقول له الغول معناه أن الذى وضعه قال أنا وضعت ذلك اللفظ لمخلوق خرافى ، فكونهمخلوق خرافى مخيف ، هذا هو معناه والذى وضعه نبه على انه لا وجود له. اذا فاللفظ حين يوضع لغير موجود ويراد به التبشيع ينبــه على أنه لا مدلول له ولا معنى الا ما تخيــله واضـــع اللفظ وأراد به معنى مخيفا فاذا انتهينا من هذه القضية وهى أن لكل لفظ معنى مــن المعانى يوجد أولا ثم يوضـــع له اللفظ الذى يؤديه ؛ نقول لهم قولوا لنا بالله . **من أين جاء لفظ الله فى لغة البشر ؟**

لفظ الله هذا كيف دخل لغـــة البشر ؟ ان كان الله امرأ عدميا لا وجود له والعدميات لا يوجد لها ألفاظ تدل عليها ، والأعجب من هذا انك تجد نظير ذلك اللفظ فى كل اللغات . فلا مفر أن يكون الأصل الأصيل فى الانســان الأول قد علم الله . وقد عرف الله من أبيــه آدم ثم تنوقل ذلك . وبعــد ذلك طرأ جحــد الله على الناس . لماذا ؟

لأن الناس الفوا المحس ولم يألفوا الغيب ، والله

غيب ولذلك نجد في الفلسفة اللغوية الأخرى ان كلمة الكفر نفسها دليل على الايمان . كيف ذلك ؟ لان كفر في اللغة معناها ستر . فكأن الكفر طرأ على شيء موجود ليستره ، كلمة الكفر في ذاتها تدل على الايمان ! وكأن الايمان هو الأصل . الأصل المشهدى في آدم ثم نقله الى بنيه ، الأصل المشهدى في الفطرة الانسانية . اذا فكلمة الله . وكلمة كفر تدلان على الايمان بالله معا .

لفظ الكفر مؤمن :

وأعلموا أن لفظ الكفر مؤمن . الكفر نفسه مؤمن لانه في لفظه انه ستر شيئا : ومادامت كلمة الكفر انه لا اله تبقى سترت اله . . يبقى اذاً اللفظ التوحيدى يدل على الايمان واللفظ المقابل أيضا يدل على الايمان .

والحق سبحانه وتعالى حين يعرض لنا هذه . القضية يعرضها في آية ((**واذ اخذ ربكمن بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم : ألستبربكم؟ قالوا : بلى**)) .. (الأعراف : ١٧٢)

كان الناس قديما يتعجبون كيف يخاطب الله النبات أو الجماد او الحيوان ؟ وفهموا انه لا يخاطب

من الله الا هم ، والسبب كما قلنا سابقا أن العقل قد فتن بنفسه . فما لم يدخل حيزه الفكرى لا يؤمن به .. نقول له يا عقل على رسلك .. انت وسيلة من وسائل الادراك ، يقول : نعم : والعين وسيلة من وسائل الادراك ، يقول : نعم . فلماذا كان للعين مجال لترى ؟

قوانين : لترى ، ولماذا لا يكون لك مجال لتفهم ، لماذا حددت مجال رؤيا العين ومدى ما ترى .. وأردت أن تطلق أنك ترى كل شيء فكل ما تراه لا وجود له ، نقول له : انت فتنت بنفسك اذاً ياعقل ، انك تعقل كل شيء الا انك للأسف لتعقل نفسك ، وكان من الواجب أن يعقل العقل نفسه اولاً ليعرف انه وسيلة من وسائل الادراك ، وما دام وسيلة من وسائل الادراك وتوجد نظائر له . اذاً ما دامت وسائل الادراك محددة المدى يكون عقلك أيضا محدد المدى .. ولو انك فهمت ذلك لكنت قد فهمت غاية الفهم لأن الذى يفهم أن ذلك الشيء لا يفهم يكون قد فهم فاذا عرضت على ابنك وهو فى الاعدادى نظرية هندسية لا تحل الا فى كلية الهندسة، فجاء الولد وأخذ المعطيات والنظرية وقال لك يا أبى : هذه لا استطيع حلها .. فماذا تحكم على عقله ؟

احكم إنه فهم ان هذه الأشياء لا تدخل فى نطـاق ما أخذه من قواعد ومعلومات ، لكن اذا جاء ولد اخر وقال انا احلها ، وامسك ورقة وقلبها واخذ فى حلهـا .. واستغرق طول النهار يقول بما ان كذا يساوى كذا ، فلا ينتهى الى شىء .. فأيهما فى رايك قدفهم الذى كان واقعيا مع قدراته ، فقال : انى لا افهـم ام الذى أصر واستكبر الذى قال : لا استطيع ان احل قد فهم نفسه ، ولذلك يقول اهل المعرفة « العجز عن الادراك ادراك » .

اذاً فساعة ما تعجز ان تدرك ، تقول له نعم ، ربنا خلقه لكى لا تعلمه ، اذا فمهمة العقل أن يحدد مجاله الأساسى ، ويكفيه ان الفلاسفة الذين فتنوا بعقولهم قديماً فى اليونان .. قسموا الفلسفة الى قسمين :

١ ــ فلسفة مادية .

٢ ــ وفلسفة ما وراء المادة .

وهى فلسفة لها مروجوها ومدعوها ومن العجيب ان فلاسفة ما وراء المادة اتعبوا انفسهم وعقولهـم فى البحث فمن قال لكم يا فلاسفة ان وراء المـادة شيء يجب أن يبحث عنـه ، لابد أن فى نفوسـكم من قال

لا يمكن أن تقوم هذه المادة بذاتها بل يجب أن يكون هناك شيء وراءها وقد يشعر العقل السطحي بالغرور ، والحق ان ما يدعوه الى الغــرور يجب أن يدعــوه الى الانكسار فهو لم يفتن الا لأنه ابتكر واكتشف واخترع .. وبعض السطحيين يقولون : ان ذلك دليل على قدرة العقل ، ولكنى بدورى ارد على ذلك فأقول ان ابتكار العقل لشيء او اختراعه لشيء ليس شهادة له على تفوقه وانما على عجزه لأنه لو لم يعجز بالأمس لما اكتشف اليوم ، وما دام قد عجز بالأمس فانه عاجــز اليوم ايضــا ، ولو أن العقــل بطبيعتــه قادر على أن يستوعب طبائع الأشياء كلها لكان العقل بمجرد وجوده فى الراس قد انتهى الى كل قضايا الوجود ، الوجــود فهماً ، ولكن الوجود لا يعطيه الا بقدر ما تســمح به ظروفه ، وما يشــاء به الله من أجــل ، لابراز حقائق الكون .. فلا يظن ظان أن العقــل حر فى أن يبتــكر ما يشاء ولكن فوق ذلك **اجل الله للأشياء ان تظهــر وللمستور ان يبدو** فكل شيء له اجــل مســمى عند الحق فان **صادف اجل الشيء بحث العقل عنه اهتدى العقل بمقدمات فى الجحود الى اجل الشيء** وان شاء الله لسر من اسرار الكون ان يظهر ولكن العقل لم يسلك له سبيل المقدمات فان الله يظهر هذا الأمر كما سمعنا

فى كثير من الابتكارات او الاختراعات صدفة فيكون بصدد البحث عن شيء فنحصل على شيء آخر هذا الأمر الذى حصل عليه لم يكن بصدد البحث عنه شاء الله للسر أن ينكشف ولكن مقدمات العقل لم تكن ذاهبة اليه فأراد الله ان يوجد المستور فكان ذلك صدفة .. ولذلك يجب أن نعلم أن هناك فرقاً قوياً بين غيب **وضع الله له فى الكون مقدمات وبين غيب آخر لم يضع الله له فى الكون مقدمات .**

اما الأول : فالمقدمات تنتهى كما قلت الى البديهيات فكل نظرية مهما كانت معقدة نستدل عليها بنظرية قبلها ثم نستدل على النظرية التى قبلها بنظرية قبلها الى ان نذهب الى النظرية الأولى فاذا شئنا الاستدلال على النظرية الاولى لم نجد نظرية وانما وجدنا امراً بديهيا موجوداً فى الكون .. اذا فأعقد النظريات خاتمتها **الأولية هى الأمر البديهى ، لكن** العقل يقف عند الأمر البديهى يستنبط منه فاذا ما استنبط شيئاً سار بدهيا بعد ذلك ثم يجعله بدهياً لشيء آخر بعده ، والذى يتعب خطى العقل حين يريد ان يعقد مقارنة بين النظرية المائة الأخيرة والنظرية الأولى يجد الخطوة واسعة ، ولكنه حين يأخذ من

المائة التسعة والتسعين وهكذا الى ان يصل الى النظرية الأولى وجد الفارق بسيطاً يتحمله العقل العـادى ، فاذا ما كان ما نشاهــده اليوم من آثار العقــول التى مضت خميرة لعقولنا نحن الآن فيجب ان نعرف أن الله اعــد كونه اعـداداً بحيث اذا انطلق النشـــاط الذهنى امكن أن يكتشف شيئاً من اسرار الوجود . فاذا شاء الله لسر أن ينكشف ولم يكن العقل قد ذهب اليه ، رق الله على البشر وهداهم اليه صدفة . . واذا نظرنا الى كثير من الأشياء التى افادت العلم الحديث والنشاط الذهنى المادى نجد ان اغلبها جاء بالصدفة، لذلك حين يعرض الحـق هذين اللونين لون غيب له مقدمات يطلب من العقل أن يبحث فى الأمر البدهى وفى الظاهرة التى يراها ويتأملها ، وبعد ذلك يجرب ، وبعد ذلك يخرج نظرية ، وبعد ذلك يخرج حقيقة علمية .

ولذلك تجـد الحق سـبحانه ـ فى آية الـكرسى يقـول : **لا ولا يحيطون بشىء من علمه الا بمـا شـاء** لا ، ولا يحيطون . . وقد اسند الاحاطة للبشر فكأن البشر لهم مدخل فى الاحاطة ،اى انهم يعملون عقولهم فى ظواهر الأشياء ليبتكرروا منها اشياء اخرى يكون الله قد اذن لها أن تنكشف .

اما الغيب الذى لم يجعل الله له فى الكون مقدمات فذلك غيب مغاض من الحق على بعض الحق .. ولذلك قصره على نفسه فقال **((عالم الغيب ، فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى))** ، اذاً فالذهن البشرى حين يعمل طاقته فى ملاحظة ظواهر الكون يستطيع أن يستنبط الظواهر الكثيرة استنباطه للأشياء الكثيرة التى كانت غيباً على العقول قبل الآن ، وهذا يجعله يعلم ان ما غاب عن حسه وادراكه يجب الا يحكم بأنه معدوم ، بل يجب أن يقول ان وسيلة ادراكه لم تصل اليه ، ويجب أن يأخذ من ذلك بمقدمات بعين المادة التى يتكلم فيها ، فمثلا الميكروب قبل أن يكتشف عدم ادراكنا له لا يعنى أنه غير موجود لا . هو موجود ولكن وسائل ادراكنا للميكروب لم تكن موجودة ، وحينما شاء الله أن ينجز بنشاطنا الذهنى وسائل تطلعنا على هذا الغيب وهو الميكروب .. عرفناه وفقد صفته الغيبية ..

اذاً فعدم ادراك العقل للأشياء لا يعنى أنها غير موجودة .. ولكن وسائل ادراكنا لم تصل بعد الى ادراك هذه الأشياء ، وحين يقدر العقل هذه المهمة ويقارن بين العقل الذى سبقه من أجيال متقدمة ، يجد

أن حصيلة العقل وخاماته الآن أكثر من حصيلة العقل وخاماته فى العصور المتقدمة ، وهو كل يوم يكتشف جديداً وكل يوم يكتشف من سر الله ما كان غيبا عنه .. فاذا كان الأمر كذلك .. والخطى سائرة بسرعة الى اكتشاف أشياء هى موجودة ولكننا لا ندركها ، واذا كان الأمر كذلك فقولوا لى بالله .. ماذا أعد الله فى الكون للعقل فى القرن الثلاثين ؟ لابد أنه أعد أشياء لتكون موضوع للعقل فى القرن الثلاثين ، والا فلو كانت الأشياء فى الكون اكتشفها العقل مرة واحدة ، اذاً ستكون الحياة مكررة .. فتعطينا صورة تافهة للوجود .. ولأننا فى هذه الحالة استطعنا بعقولنا أن نستقصى أسرار الله فيه مقدماً ، ولكن أسرار الله لا تنتهى حتى يأذن الله للأرض أن تزول ومعها وليدها المغرور ..

ولذلك يقول الحق **« حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت ، وظن أهلها أنهم قادرون عليها ، أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس »** ، (يونس : ٢٤)

اذاً فلابد أن نقدر أن أسرار الله فى الكون كثيرة وغيب الله لا ينتهى ، ومهما تعددت القرون فسيكتشف أهلها كل يوم سراً خافياً وذلك سر الحرف فى القرآن

(س) : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم »
نحن نقرؤها الآن : سنريهم وقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فى القرن الأول : سنريهم .. وسيقرؤها الناس بعدنا : سنريهم .. الى ان يرث الله الارض ومن عليها .. اذاً فاستقبال واستقبال بالسين يدل على أن أسرار الكون لا تنتهى أبداً والسين هذه تدل على ان الوجود لن يقف ابداً عند مرحلة واحدة وانما وجود متطور رغم اكتشاف اسرار الله فى كون الله ولذلك ستقرأ « سنريهم » حتى تقوم الساعة ويظل الأمر دائماً امر استقبال لاسرار كون الله ... بواسطة العقول التى خلقها الله .. اذاً فيجب على العقل الا يحكم على شيء لا يدركه بأنه غير موجود وحسبنا فى هذا ان الفلاسفة الذين دوخونا بآرائهم ودوخونا بافكارهم فيما وراء المادة ـ الميتافزيقا ـ فاتعبونا دون أن يصلوا الى حقيقة ما .. مع ان القيم فى الفلسفة وهى الفلسفة المادية اعطانا عطاء واسعاً وافراً فى الوقت الذى اختلف فيه فلاسفة فيما وراء الطبيعة ، فلم تتفق كما قلنا مدرسة مع مدرسة ، ولا تلاميذ مدرسة مع تلاميذ مدرسة واحدة واختلفوا مع انفسهم فيما ذهبوا اليه فيما وراء الطبيعة ، ولأن العقل يستقبل من الماديات ليستنبط منها ، واما ما غاب عنه لا يمكن ان يصل الى شيء فيه .

التعقل والتصور

وأنا سابقا قلت انه يجب على العقل ان يفرق بين شيئين اثنين ، وعدم الفرق بينهما هو الذى يوجد متاهة للعقل المعاصر .

الشيء الأول هو تعقل الشيء ، والشيء الثانى هو تصور الشيء .

فلو وقفنا عند تعقل الشيء لا تفقنا ولكننا اختلفنا لأننا حاولنا أن نجاوز منطقة التعقل الى منطقة التصور ومنطقة التصور هى المتاهة .. وهى المضلة التى نضل فيها جميعا .. لماذا ؟

لأنك لا تتصـــور شيئا الا على وفـــق ما ترى من خامات التصورات فى الوجود ، ولكنك قد تتعقل شيئا .. فمثلا اذا حدثونا أن الصوت له نصف مليون ذبذبة فى الثانية .. هذا امر يعقل ولكن لا يستطيع العقل أن يتصوره ، لأن دقة الموازين هى التى تتعب الناس فمثلا أنا يولد لى الوليد ، وأظل دائما أنظر اليه كل لحظـــة وكل يوم ، فهو لا ينمو فى نظرى ابدا لأنه لا توجد عندى

المقاييس الدقيقة التى تستطيع أن تدرك نموه كل ثانية ، الولد لا يأتى كل أربع وعشرين ساعة ثم ينمو اليوم دفعة واحدة وانما ينمو مع الزمن ، فنموه موزع على الزمن ، فاذا انت قسمت الزمن الى ثوان فيكون له نموه كل ثانية . فاذا استطعت أن توجد مقياسا زمنيا أقل من الثانية فأيضاً يكون له نمو ضئيل يناسب هذا المقياس ، فان كنت ناظرا اليه دائما فانك لا تدرك ابدا كيف ينمو ، ولكن اذا غبت عنه شهرا أو شهرين أو ثلاثة ادركت حصيلة نمو الشهرين فيمكن أن تدخل حينئذ تحت مقاييس ادراكك .

ولتفهم الفرق بين تعقل شىء وتصوره ، وهى المسألة التى اتعبت الفلاسفة فى الايمان بالله فلم يكتفوا بتعقيل وجود الاله ولكن ارادوا أن يتصوروا ذلك الاله فأتعبهم ذلك ، ولو أن الفلاسفة قديما حينما اتجهوا الى ما وراء المادة ليبحثوا عنه ، ما الذى قال لهم : ان وراء المادة شىء ، فاذا ما علمت أن وراء المادة شيئا ، الفطرة قالت : ان وراء المادة شىء والعقل صحيح ، قال : لابد وان وراء المادة شىء ، هذا قدر كفيل بأن يكون وراء المادة شىء ، غالبا ما علمت بأن وراء المادة شىء . ثم جاء الحق فسمح بارسال رسول

ليقول لك الا اخبرك بمـا وراء المـادة ؟ كان يجب أن
ترهف اذنك لذلك الرسـول انت ظاهـرة من ظواهر
الكون ، تقدر على أشياء ، وتعجز عن أخرى ، وتعرف
اشياء وتجهل أشياء أخرى ، وتختار أشياء وتجيز
على اشياء كان يجب أن تحل لغزك انت اولا .. لمـاذا
تقدر على أشياء ولا تقدر على اشـياء ، وتقهـر على
اشياء كان يجب أن ترهف اذنك لمن يحل ذلك اللغـز
فيك ، وبعد ذلك فى قدرتك على اشياء وعدم قدرتك
على اخرى ، تجد انك تتفاوت مع الناس فى القدرة .
وبعد ذلك القادر فوقه اقدر منه والقادر فوقه اقدر
منه ، وهكذا الى أن يأتى الجبار ليس فوقه جبار ،
وبعد ذلك تجد أن ذلك الجبار الذى يكره الناس على
اشياء تجده مجبوراً على اشياء كان يجب ان تفطن على
ان هناك قوة غير مرئية فوق ذلك الجبار مادام يقدر
على أشياء ثم بعد ذلك يقدر على اشياء . اذاً يجب أن
نتنبه على أن هناك قوة أخرى فوقه .. لا ترى هى
التى تقهره على هذه الأشياء اذا كنا هنا فى هذا المكان
واغلقنا الابواب والنوافذ ثم دق الجرس .. هنا تعقل،
تعقل ان طارقا بالباب وكلنا نتفق فى هذا التعقل فاذا
اتفقنا .. ندخل فى منطقة التصـور وذلك يدخلنا فى

متاهات .. واحـد يقول هو رجـل ، وواحـد يقول امراة ، وواحد يقول طفل صغير وهكذا .

نختلف اختلافا فى اى منطقة ، فى منطقة التعقـل ام فى منطقة التصـور ؟ منطقة التصـور هى منطقـة الاختلاف ، فلو اننا اكتفينا بالتعقل وتركنا الطـارق بالباب ليدلنا على من هو لالتقينا ..

فالتعقل قوة وراء الكون فيجب ان نرهف اذنـنـا حتى تعلن القوة عن نفسـها والا تقولوا لى بالله قـوة كالطبيعة ، قوة كالشمس . قوة كالآلهة التى ادعى المدعون انها التى خلقت الكون ، كيف سمحت هـذه القوى الخالقة للكون أن يدعيها الله مدلول الله فى نظر المؤمنين ، وياخذها الله ويقول انا الخالق وانا الرازق وانا المعين ثم لا تتكلم هذه القوة بكلمة ولا تبعث رسولا وتبقى مسـتكينة وتترك المدعى الذى هو الله يأخذ ذلك الكون منها ؟ فاذا جاء شخص وقال : الله هو الذى خلق ، وآخر يقول الطبيعة هى التى خلقت ولم تجىء لنا برسول ولا برهان على انهـا هى التى خلقت .. اورونى ما ذلك الاله العاجز الذى اخذ منه غير الخالق خلقه ومع ذلك ظل ساكنا خانعا لا يقول ذلك كذب انا الذى خلقت ، اذاً فعدم وجود معارض لمدعى الرسل

فى ان الله هو الذى خلق وعدم وجود منهج هذه المدعيات يبطل ان تكون معبودة ويبطل ان تكون هى التى وراء ذلك الكون ، فالحق سبحانه وتعالى حينما خلق الإنسان امده بفطرة ، هذه الفطرة تمكنه أن يدرك أن وراءه شيء آخر ، فالطفل الصغير حينما يعتريه امر من الأمور لن يفزع الى مظهر القوة فى حسه ، الى امه وابيه ، فاذا كان الانسان فى ضيق وفى كرب وكل اسباب النجاة مغلقة أمامه أترى أنه ييأس ابداً .. لماذا لا ييأس لأنه يتجه بفطرته الى قوة اعلى منه لا يراها ولكنها تراه فهو بذلك ينصرف الى الرصيد المدفون فى نفسه الذى يوحى بأن هناك قوة اخرى ستنجيه .

ولذلك حين لما يعرض ربنا هذه القضية يعرضها صريحا . وبعد ذلك يحكى لنا عن المركب التى سارت فى البحر وهاجت عليها الأمواج ، دعوا الله مخلصين له الدين لأنه لا يمكن ان يخدع نفسه فى وقت مثل ذلك ولا يمكن أن يبيعها رخيصة أيضا . عنده امل فى ان احد سينجيه وبعد أن ينجيه يعود ألى كفره مرة اخرى . .اذاً لو ان عقل الفلاسفة اكتفى بتعقل قوة وراء ذلك الكون وبعد ذلك ترك القوة أن تعلن عن نفسها

بواسطة رسول مؤيد بمعجزة من المعجزات لاراحة نفسها واراحتنا ، وحين ننظر الى الانسان نجد أن الانسان جنس من الأجناس ، وانا دائما ارتب الأجناس بالاستقراء : **جنس يسمى الجماد** وجنس آخر يمتاز عنه بمظاهر **النمو فسميناه نباتا** وجنس آخر يمتاز بمظاهر **الحس والحركة سميناه حيوانا ، وجنس هو الانسان امتاز بخاصية الفكر سميناه الانسان .. تلك** هى الاجناس باستقراء الوجود .. وبعد ذلك نجد ان كل جنس من الوجود أعلى من جنس آخر ياخذ خاصية تميزه عنه .. النبات لم يصبح نباتا الا بخاصية النمو ولكن خاصية النمو أفقدته خاصية الجمادية لا تظل فيه جمادية .

وبعد ذلك الحيوان ، هل خاصية الحس أفقدته خاصية النمو وخاصية الجمادية لا تظل فيه خاصية النمو والجمادية ، والانسان فيه خاصية الحيوانية والنباتية والجمادية . وانا اذا قفزت قفزة ساصبح مثل قطعة الحجر وقانون الجاذبية يحكمني وأيضا انمو بدون اختيار مثل ظاهرة النبات ، وأحس وأجهزتي تتحرك وتعمل وانا نائم بدون شعور مني .

وبما ان الانسان يتميز بمنطقة الفكر ، منطقة التكليف فنقول له : ان الجماد فى خدمة النبات والحيوان والانسان والنبات فى خدمة الحيوان والانسان ، والحيوان فى خدمة الانسان وانت أيها الانسان فى خدمة من ؟ ما عملك ؟ فكل جنس من هذه الاجناس له مهمة يؤديها فما مهمتك انت أيها الانسان ؟

اذاً لازم تبحث بالعقل واذا لم تجد لك مهمة وجنس أعلى منك ترتبط به كما ارتبط الحيوان بك وكما ارتبط النبات بالحيوان فان لم تبحث عن مهمة لنفسك وجنس أعلى منك ترتبط به فأنت أتفه من النبات وأتفه من الحيوان .

اذاً فيجب على العقل أن يبحث عن هذه المهمة فينظر فلا يجد جنسا أعلى منه ليؤدى له هذه المهمة .. اذاً لابد أن يشغله ذلك حتى اذا ما ارسل الله له رسولا ليقول له : الا ادلك على القوة التى يجب ان ترتبط بها ؟

والتى عقلك يبحث فيها .. فكان ذلك هو الرسول قد جاء الى بشيء انا طلبته بعقلى .. وبحثت

عنه بعقلى .. ويأتى الرسول فيقول : ان هذه القوة هى الله ومطلوبها منك كذا وكذا ومصيرك اليه ، وجزاؤك يبقى كذا اذا عملت شراً او طيباً ، فيكون الرسول قدادي لى مهمة . لانه انقذ فكرى وعقلى فى البحث عن مهمة كان ضرورياً ان يبحث عنها ، وايضا اذا نظرت الى استقراء الاشياء وجدت ان الانسان يصنع بنفسه صناعات .. وصناعاته التى يصنعها صناعات لا تؤدى ضرورة فى الحياة وانما تؤدى ترفا فى الحياة .. فان لم يصنع الكوب من البللور لاستطعت ان اشرب فى الفخار او فى الصفيح او من الحنفية مباشرة . اذاً كوب من البللور لا يمثل ضرورة فى الحياة . انما هو يمثل ترفا فى الحياة ، فالله يقول اذا أردت ان تترف نفسك فاعمل عقلك وذهنك فى أسرار كونه وفى عناصر الوجود .

ضرورات الحياة .. وتكافؤ الفرص :

اما انا فقد امددتك بمقومات الحياة الأساسية .. امددتك بطعام .. وامددتك بشراب وامددتك بهواء .. واذا ما نظرت الى سر توزيعى لهذه الأشياء عرفت أنى رب .. ولا يقدر على عمل كهذا الا رب . مقومات حياتك طعام وشراب وهواء . فاذا صنع انسان آله .. مثل

السيارة وقودها الأساسى البنزين فاذا ما انتهى البنزين من السيارة تقف السيارة . لكن انظر الى صناعة ربك فى طعامك . ان جسمك يأخذ الضرورى ويختزن الباقى حتى اذا لم تجد طعاما كان فى ذاتك مقومات حياتك لفترة طويلة . قد تطول الى شهر وتستمر تتغذى من ذهنك ولحمك ومن شحمك ، ومن العجيب ان الدهن يتكيف بالمواد الغذائية الطبيعية . احضروا لى آلة صنعها البشر وبعد ذلك يفرغ وقودها منها ، ثم بعد ذلك تظل فى حيويتها ، لها ما يعينها على الحركة والحياة . .

وبعد ذلك قال لك : والماء ، اعطيتك الماء بالنسبة للطعام ضرورة طبعاً ، لكن صبرك على الماء اكثر أم صبرك على الطعام ؟ صبرك على الطعام اطول من صبرك على الماء ، فانك لا تصبر على الماء الا من ثلاثة الى عشرة ايام على مقدار المائية الموجودة فيك .

ولذلك أمكن للطعام ان يمتلك وان يحتكر ، ووسيلة امتلاكه صعبة شيئا ما عن الماء . لكن الماء ـ لأن الضرورة له اكثر ولا يمكن الاستغناء عنه ـ جعله الله مشاعا او شبه مشاع .

واذا ما نظرت الى الهواء فهذا هو العنصر الذى

لا يمكن الاستغناء عنه أبداً ، فاذا ملك انسان طعامك وغضب عليك ومنع عنك الطعام فيقعد غضبان شهراً فان قلبه قد يرق بعدها ، يمكن انت بحيلتك أن تفر ، يمكن لأحد أن يعطف عليك فيحضر لك طعاما . والماء أقل ، ولكن اذا غضب عليك أحـد وهـو مالك الهواء ماذا يكون موقفك قبل أن تنفعل ذرات نفسه بالرضا عليك تكون قد مت ، ولذلك قال لك أما الهواء فلا آمن فيه يداً على يد أبداً فهو مشـاع بين النـاس جميعـاً ويستوي فى الاستنشاق به الغنى والفقير ، الغنى يمكن أن يشرب الماء مكرراً ولا يعرف من أين ، لكن الهواء كل واحد يستطيع ان يأخذه .

الله ! ؟ اذن هي ضرورات الحياة ، حتى انه عمل فيها تكافؤ الفرص فى صورة مرتبة :

١ ــ الهواء .

٢ ــ الماء .

٣ ــ الطعام .

اذا نظرت أنت الى هذه المسألة وجدت الانسـان لما يأتى ليصنع صنعة مثل الكوب لا يأتى فيها بحاجة ضرورية للحياة ، يأتى بحاجة فيها ترف فى الحيـاة أو

كمالية فى الحياة ، ويقول لك تريد ان تكون مترفاً وان يكون عندك كماليات شغل عقلك وذهنك . على قدر نشاط ذهنك تأخذ كماليات واسرار من الكون . فنأتى ونعمل كوب . طبعا الكوب لم يأت كما تراه ولكن العلماء بحثوا فى عناصر الأرض وراوا اى عنصر له بريق وله شكل جميل . وبعدها كيف تنصهر .

ودرجة النار الكافية لانصهاره تقدر بكم درجة ليصبح عجينة لينة لتستطيع تشكيله . وبعد ذلك هناك مواد وكيفية تنقيته . ويعمل معامل وعقول وامكانيات لكى يصنع كوبا ، لكن هل استطاع العقل البشرى أن يصنع كوبا جميلا ثم يأتى بكوب غير جميل ويصنعهما بجوار بعضهما ليلة ويقول لهما : طلعوا لنا اكواب ؟

هل عملوا اكواب صغيرة وجعلوها تنمو وتبقى كبيرة ، اذن انت تصنع صنعة على قدرك وربنا يصنع صنعة على قدره وهو سر الحياة والنمو هذا هو اللى يدهش الدنيا ويتعبها . ونقول له : تعالى ، اذا كان الكوب الذى يمثل ترفاً فى الحياة وراءه هذه الأجهزة من العلم ومن الامكانيات ومن العقول .. الخ .

فابحث وراء هذه الأشياء حتى تنتهى الى سببها الأول ، فاذا وجدت مسببا بلا سبب فقف هنا واسأل

الرجل الذى يصنع الاكواب كيف يعملها ؟ يقول لك : نأتى بالرمل من المكان الفلانى ونأتى بمادة كذا من المكان الفلانى ومادة كذا من المكان الفلانى ونصهره فى المكان الفلانى ثم نصنعه كوبا .

نذهب الى المكان الذى فيه الرمل ونسأل .. يارمل أنت من اين ، لا احد يجاوب ، انتهى السبب .

يبقى اذن وامتنعت يد الانسان فقد بدات يد الله مادام التافه كان وراءه صنعة وعلم وحكمة وقدرة وامكانيات لما تمسك اى حاجة مثل المكتب الذى اجلس عليه وتقول له من اين عملت هذا ، يقول لك انا احضر الخشب من التاجر الفلانى ويا تاجر يا فلانى احضرت الخشب من اين ؟ يقول لك استوردته من السويد . يا سويد انت جئته من اين ؟ تقول لك جئنا به من الغابات ، نذهب الى الغابات وتقول لها يا غابات أنت جئته من اين ؟ لا نجد لها جواب . حين لا نجد جوابا يجب أن نتنبه الى ان هنا يد الخالق الخفية والا فالتفه الأشياء فى صناعتنا لا توجد هكذا .

فاذا كان ربنا يتركنا نصنع اشياء فذلك ليدلنا على الكلمة التى كانوا يعلمونا اياها من زمان . ان الصنعة لابد ان تدل على الصانع . لكن هناك حاجة

ثانية مهمة . الصنعة التى هى الكوب هل تدرك مـن صنعها ؟ اذن فالصنعة لا تدرك أبداً من صنعها ، قس على نفسـك أنت صنعة الله اذاً أنت لا تستطيع أن تدرك الله .

ومن عظمته انك لا تدركه .

لو ادركته لما كان يصلح أن يكون الها ، لماذا ؟

لان ادراك العقل لشىء أو ادراك العين لشىء ، فاذا اعطينا الولد مسألة هندسية مثل ما قلت وحلها قلنـا دخلت فى مقدور عقله يعنى اصبح عقله قادرا عليها ، فانت اذا ادركت الحق الخالق انقلب القادر مقدورا والمقدور قادراً .

ولا ينقلب المقدور قادرا ولا القادر مقدورا ابدا .

اذا فمـن عظمـة ربك انك لا تدركه واذا كان الله سبحانه وتعالى حينما يصف نفسـه بقوله « **الله نور السموات والأرض** » لم يعطنا مثلا الا بالنور وبعـدها يجىء النور من الضوء وبعدها يقول لنا العلم الحديث : أن الضـوء فى ذاته لا يرى وانمـا ترى به الأشـياء ، فاذا كان شيئا من خلق الله لا يرى لذاته انما ترى به الأشياء فنقول للذى خلق هذا كيف لا يدرك ؟ لا يدرك ولا يمكن ابدا ، لأن من خلقه ما لا يرى وما لا يدرك ،

فكيف تتسامى أنت لتدركه هو ، فاذن عـدم ادراكه دليل على انه حقا هو الاله حقا .

فحين تعجز عن الادراك فان ذلك يزيدك عشـقا بغير المدرك هذا ، ولكن الضوء الذى يقولون عليه انه موجود لما طلعوا فى الجو واستطاعوا أن يقتربوا مـن الشمس مصدر الضوء كان المفروض أنه يوجد ضوء اكثر ولكنهم لم يجدوا نوراً هنـاك ابداً انما وجـدوا ظلاما ، لماذا ؟ لان الضوء لا يرى الا اذا كان فيه اشياء مادية مثل ذرات مائية ، شيئا من غبار .. الخ .

اذاً فالضوء لا يرى بذاته وانما يرى فى اشياء .

اذاً لما يقال لك ، ان الله لا يرى فى كونه وفى اشيائه لا تستعجب لان هذا هو ما انتهيت اليه بعلمك ، وما انتهيت اليه بعلمك هو ماذا ؟ .

هو ان الضوء لا يرى ولكن اذا وجدت ذرات غبار يرى . اذن لما نقول لك ان الله لا يرى وانمـا يرى فى صنعته يبقى هذا الكلام سليم ، وكلام علمى ، وكلام منطقى . يأتون ويقولون لك : هذا الكون صدر من مادة فانية فكيف وجد ؟ لابد ان تـكون هنـاك مادة لأنك لا تتعامل الا بالمادة ولا تعمل شيئا من لا مادة ، انت تعيش المسـائل بقدراتك وبعلمـك انما انت لا بد أن تقيسـها بقوانينـه وقدراته هو سبحانه لـكن هو نور

من نوره خلق الأشياء . والآن قالوا ان الضوء ممكن ان نطلع مادة ، والمادة نقدر ان نفرقها وتبقى ضوءاً ، يبقى اذن الاشكالات التى كانت موجودة قديما امام العقل ، العلم والنشاط الذهنى ابتدأ يفسرها ، فالناس يعكسون المسألة كلما تقدمت الأدلة نحو الوجود الأعلى هم يأخذونها ضد الوجود الأعلى ! كيف هذا ؟

كان يجب أن تكون هذه الأدلة ادلة على الوجود الأعلى وتيسر لك هذه المسائل . فلماذا تأخذها أنت بالعكس ؟ لأنك سرت بمسألة مجنحة لم تسر بالارتقاء بكل ملكات نفسك ، ارتقيت فى ملكة واحدة وانحططت فى ملكات أخرى فيحدث عندك تجنيح ، أنت قلت البطن فقط ولا شيء غيرها ، أشبع البطن وكأن الانسان ليس له ملكة الا البطن فتقول له يا أخى اذا كان ليس له ملكة الا بطنه ، فالرجل الذى يحدد اقامته بعيش فى فيلا عظيمة يأكل ما يأكل وفى خدمته ناس .

وبالله هذا سرور نفسيا ام تعب ؟ لم هو تعب ؟ لأن هناك ملكات أخرى عنده جائعة . وبالاحصائية فى السويد التى فيها أرقى مستوى معيشى ، قالت الاحصائية ان الشباب عندهم أكثر نسبة فى الانتحار والجنون والشذوذ ، اذا لم ينتحر طالما عنده وسائل الترفيه . ؟

آه : لأنه شبع فى ملكة واحدة من ملكات نفســـه ، وجائع فى ملكات أخرى ، لما جاع فى ملكات أخرى بقى عنده قلق واضطراب ، وبعدها يسأل علم النفس ؟ لأنه توجد ملكات أخرى غير نامية النمو المتسق مع بعضه؛ لكن المؤمن ينمو بكل ملكات نفسه لو أحضرت انســان ونزعت منه القطعة التى أعلى المخ تصبح حركاته مثل حركة الحيوان تماما .

اذن فالانسـانية كلها هنا كانسان فى القطعة العليـا من المخ .

وبعد ذلك نسأله بدورنا . الحيوان يجوع أم لا ؟ الجواب أنه يجوع اذن أسألك بالله لماذا يجوع يعيش فى ألم الفقر وخوف المجاعة فيفكر فى هذه الحـكاية لا ، أنه لا يفكر فيها .

حسن هل يلد أم لا ؟ .. وهل يموت ابنه أو لا يموت ؟ .. انه يموت ويذبح أمامه . هل يذوق الم ثكل وفجيعة فراق ؟ لا يذوقه هل هو يأكل الحاجات التى يسر منها لكن ملكاته التى عنده . هل رأينا مثلا حيوانا نم (١) على حيوان آخر أو امتلأ حقداً أو وشى

(١) نم : من النميمة الايقاع بين الناس .

بحيوان آخر او نظر لانثى وحاول معها شيء . ساعة يراها حامل انتهى كل شيء ومن العجيب أننا نظلم الحيوان ونقول على أنفسنا لما ننفلت فى شهواتنا تقول الشهوة البهيمية ! ياليتنا جعلناها بهيمية معمولة لحفظ النوع فقط فاذا اقترب ناحية الأنثى ووجدها حاملا لا يقربها ابداً . بهيمية ليس عندها شذوذ جنسى لا تنظر الى اللذة فى النوع المشارك . بل تقول عليها شهوة بهيمية واعيننا مفتحة يجب أن تقول عنها شهوة انسانية لأن الحيوان عملها لحفظ النوع فقط ، ونحن ظلمنا الحيوان .

الحيوان يدرك بما وهبه الله من غرائز ما ينفعه وما يضره ويرى غيره يموت ، هو ساعة ذلك لا يفكر فى الموت او مصيره اليه . ليس عنده هذه الأفكار . . الحيوان لا يفترس حيواناً آخر الا اذا كان يريد أن يأكل . اذن القوى يأكل الضعيف لكن لم نر حيواناً قتل آخر ولم يأكله ، مثل انسان يضرب واحداً بالرصاص فيميته . اذن الحيوان الذى هو ادنى منى ليس عنده هذه المسائل .

انا لو لم يكن لى منهج وركن آوى اليه فى مثل هذه الأشياء والهموم . وعندما يموت ابنى أو عزيز على ماذا اصنع ؟ فالحيوان يموت ابنه ولا يذوق الم

ثكل . لكن انا اذوق الم الثكل والحزن . اذن انا اشقى من الحيوان .

لو لم يكن عندي رصيد آخر يقول لي هذه مصيبة لها أجرها وجزاؤها كذا وان ربنا اراد بها كذا .

يبقى اكبر مصيبة حين تدخلها في ميزان نفسي فتهون علي لأن الثمن يبقى كبيراً . لو لم تكن هذه عندي كنت انا اشقى اجناس الوجود ولست سيدا لهذا الوجود .

من ذلك نجد المنهج ضرورة نفسية . والانسان منا مهما كان غنيا او مترفا يشغله همان الهم الأول : ان يفارق هو ذاك النعيم . الهم الثاني . ان يفارقه ذلك النعيم . اذن فلابد للانسان مهما ارتقى من ان يشغل باله بشيء ، غاية الشيء الذي يشغله الهم في أن يزول عنه هذا النعيم أو أن يتزحزح هو ويترك النعيم

او أنه يعتريه شيء من الانقباضات التي تعترض النفس البشرية بدون معرفة أسبابها..

هم يستولي عليه هـذا الهم الذي يستولي على الانسان لما الانسان يشعر بأنه له رب وان المسألة ما دامت أسبابها في نظره قد انتهت بموجب مسبب هو ربي .

قلما تعلم أن هذه الأشياء لها مسبب هو ربي وهو

لا يسأل عما يفعل فتجد انك تعيش على رصيد من الأمل ، رصيد من حنان غيبى ، من عطف غيبى ، اذن فالمحروم من الايمان حين تعز عليه الأسباب فعزاؤه فى ماذا ؟ لا يوجد له عزاء نفسى أبدا . وانما المؤمن يوجد له العزاء النفسى .

الايمان ضرورة نفسية

ماذا يعمل الايمان فى النفس ؟ يغير طبيعة وكيماوية النفس البشرية . مثلا التاريخ يحدثنا الخنساء (١) مات اخوها صخر فلما مات صخر ملأت الدنيا عليه بكاء وعويلا حتى فقدت بصرها وهو اخاها . وبعد ذلك اسلمت وجاء لها خبر ابناءها الأربعة فى معركة القادسية واستشهدوا فى وقت واحد .

كان هذا أخاها وهؤلاء أولادها وكان أخوها واحداً .. وهؤلاء اربعة . فماذا قالت ؟ ..

قالت الحمد لله الذى شرفنى باستشهادهم واسأله ان يجمعنى فى مستقر رحمته . ما هذا العزاء الذى دخل عليها انه عز بالايمان أعظم المصائب يهون امرها . مثلا العواطف نفسها الايمان يغيرها . يحدثنا التاريخ ان سيدنا ابا بكر كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معركة بدر وابنه كان مايزال مع الكفار يقول

(١) كانت شاعرة فى الجاهلية . اسلمت وحسن اسلامها .

ابن ابا بكر رضى الله عنه يا ابى لقد رايتك فى المعركة فلويت وجهى عنك ـ يريد ان يمتن على ابيه ـ فيقول ابو بكر اما والله لو رايتك لقتلتك . ان ابى بكر منطقى مع عواطفه وابو بكر ذاته منطقى مع عواطفه لانه لما يقابل ابن ابى بكر الكافر اباه فى المعركة يقارن بين ابيه وبين ماذا ؟ لو عنده عقيدة حقا ومتمسك بها على انها حق كان يهون ابوه امام العقيدة انما وجد اباه امام العقيدة انما وجد اباه ولم يجد العقيدة فمن يفضل ؟ يفضل اباه طبعا لكن ابا بكر قال لو رايتك لقتلتك .. لان امام ابى بكر عقيدة حق اعز عليه من ابنه فيكون هذا منطقى مع نفسه والثانى منطقى مع نفسه ، فانظروا كيف فعل الايمان فى النفس . النفس البشرية . اذن فالعزاء للانسان فى كل احداث الحياة ان يكون له ايمان ، ولذلك : الناس الصالحون يقولون : (لا كرب وانت رب) ما دام فيه رب لا يوجد كرب ، وبعد ذلك يجىء فيعزينا فى الاشياء التى تاتى على خلاف ارادتك وتنالك من المصائب . افهم انا ماذا اقول فيها .. انا اقول . ((**قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا**)) كمقياس فرضه الله كان مفروض ان يقول كتب الله علينا لان (على) تفيد الغرم انما اللام تفيد الانتفاع والملكية ، يعنى كان قياس انها مصائب شىء يعطيه لنا .

اذن هذا الفرق بين ملحظ الايمان وملحظ الكفر ساعة ما تأتى المصيبة لأى انسان تكون المصيبة عليه . انما ساعة لما تأتى المصيبة لمؤمن يقول مصيبة لى اذن حين تقارن أى بلاء باجر يهون البــلاء ، وانمــا الذى يضخم البلاء فى اذهان الناس إنهم ينظرون الى البلاء ويغفلون أجره ، وكل تــكليف من التــكليفات ان كان طاعة أمر الله بها . وان كان معصــية نهى الله عنهــا لا تجترىء عليها النفس البشرية الا حين تغفل الجزاء عليها أما اذا وضعت امام الطاعة الجزاء عليهــا وأمام المعصية الجزاء عليها ، فانى أتحدى اذا وضعت الاثنين وضعا ايمانيا إمام بعضهما .

وليس الوضــع الايمانى ان تؤمــن .. لا .. بل تشهده كأنه مشهد .. كأنه واقع ولذلك حينما ســأل الرســول صلى الله عليــه وسلم الصــحابى (١) كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت بالله مؤمنا حقا . قال له حقا : هذه كلمة واسعة جدا هل تعرف معناها ؟ قال : لكل حق حقيقة فما هى حقيقة ايمانك قال : عزفت نفسى من الدنيا فاستوى عندى ذهبها ومدرها (٢) ،

---

(١) الصحابى هو سيدنا معاذ .

(٢) مدرها : ترابها .

وكانى انظر الى اهل الجنة فى الجنة ينعمون والى اهل النار يعذبون . يعنى لم يعد خبراً بل صار مشهداً أنا قلت لبعض الشبان سوف تأتى بشاب عنده شـذوذ جنسي ونأتى له ببنت جميلة من السويد ونقول له هذه هى البنت وهذا هو المفتاح وهـذه هى الحجرة لـكن انظر الى هذه الحجرة الأخرى اولا بها حديد مصهور على درجة حرارة كذا .

اقض الليلة هنا .. ثم نأخذك صباحا على هـذه الحجرة المستعرة . ماذا يكون موقفه ؟ لن يرضى .. لماذا ؟ لأنه استحضر العقوبة أمام المعصية . اذاً الذى يجرى الناس على المعاصى ماذا ؟

انهيستحضر المعصـية فقط بشهوتها وغافل عـن عقابها . ضربت مثلا مرة هب أن رئيساً مسافر وقيل : على السادة الوزراء والنواب الحضـور فى المطـار فى الساعة الرابعة صـباحا لتوديع الرئيس . بالله لـكى يذهبون فى الرابعة صباحا متى يصحون فى منازلهم ؟ فى الساعة الثانية حتى يجهز الواحد منهم نفسه من استعداد وملابس .. الخ ، وبعد ذلك يضبط المنبـه وهذا يوقظه ويوصى زملاءه من يستيقظ قبل الثانى يضرب له الهاتف . وعمل جميع ترتيباته كلها حتى

يكون هناك فى الساعة الرابعة بالضبط . وضد كل امكانياته ما تخلف احد ، فاذا قال الفجر الله أكبر يقول : انا كسلان شوية لماذا جندت ارادتك فى الأول وذهبت ، وارادتك هنا اين ذهبت ؟ الأصل انك استبطأت الجزاء ، انما هناك الجزاء عاجل سيغضب عليك ويكون كذا وكذا اذا فآفة الايمان أن الناس يؤمنون بالله وبمنهجه ولكنهم يستبطئون الجزاء مثل التلميذ حينما يأتى ويقول أصل الامتحان لا يزال بعيداً وقته لما يأتى فى الامتحان تجده ذاهب غادى .. حيران طول الليل وطول النهار ، يمكن يستذكر ولكن أعصابه منهارة ويشكو من انهيار أعصابه وانه لا يستطيع المذاكرة . تقول له يا أخى : ان الذهن لا يفهم بالتكرار ولكنه الطبوغرافيا يلتقط مرة واحدة أنت عندما تسمع شخصاً يقول قصيدة فبعد ما ينتهى من القصيدة تحفظ لك بيتاً أو اثنين . لو كان ذهنك درجة ذكائه انه لا يحفظ الا من ثلاث مرات لما حفظ بيتا واحدا انما دليل على انك حفظت بيتا أو اثنين أن ذهنك قابل على أن يلتقط على طول ، المهم أن ذهنك ساعة الالتقاط يكون فارغا من غيره تلتقط قضية لا يكون بؤرة شعورك غيرها فتهمها من مرة واحدة . لماذا تكررها الف مرة ؟ لانك تقول القضية المتكررة وفى بؤرة

شعورك حاجة ثانيــة ، ولذلك يجيء التلميــذ فى إيام الامتحان تقول له . انت ذاكرت الباب الفلانى ؟ يقول : لا ، تقول له : ان هذا الجزء سياتى منه سؤال اكيــد فيخطف كتابا من زميله وهو سائر فى ساحة الـكلية ويظل يقرأ وهو صاعد على الـسلم والمتبقى عشر دقائق على بدء الامتحان وينتهى منه بسرعة وبعد ذلك يدخل فيجد السؤال فى الامتحان فيضــع الاجابة كمــا هى لماذا ؟ لانه فى هذا الوقت سوف لا يفكر فيما سياكل فى الغداء أو ان فلانا كلمه او اغضبه .

المسالة فرصتها ضيقة جدا وليس عنده غير وقت قصير ولكنه ينظر الى السطور ويضع الاجابة كما هى اذ أن بؤرة شعوره خالية الا من هذه المسالة .

اذاً انت حين تستحضر شيئاً ويغيب عنك الجزاء عنه فتقع فى الواقعة اذا قلنا ان هناك جبلا عاليا وفى آخره شجرة تفاح والجبل مصعده وعر جداً لابد ان تأتى وتلاقى صرعى .

اذاً رؤية الجزاء على الشيء واستحضاره يهـون مشقة التكليف، ويهون من شهوة المعصية الذى يريد أن يقول ان الطاعة لذيذة يستحضر الجزاء الذى يريد ان يعرف ان الشهوة دانية نازلة يستحضر الجزاء عليها

ولذلك حينمـا يقول رسـول الله : « ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » فحين يشرب الخمر أو يزنى تكون عنده لحظة غفلة . اذن فايماننا بالله يجب الا يـكون به شك وايماننا بالتوثيق من الله يجب الا يكون فيـه شك . لماذا ؟ لأن لنـا فكراً اسـمى من فكر اليـونان واسمى من فكر الرومان لأن الهنا لم نصوره كما فى اليونان يسرق ويزنى ويشرب الخمر . الهنا مستحق لصفات الألوهية الكاملة .

يبقى لنا فكر مثل اليونان تمـاما . ولنا أيضـاً ثقافات مثل الرومان القديم . لنا توثيق مثل كل الامم ولكن فى حسناتها وليس لنا معايب هذه الامم .

يقولون إن الأديان الأخرى معذورة فى توثيقها هل انت فى شك فى توثيق كتابك ؟

اقرا شهادة خصوم الاسلام نفسه . اقرا شهادة المستشرقين .

اذ ان ايماننا بالله ليس فيه اختلاف فى طبيعته قال فيه بنفسـه ومنهج موثق من الله بشهادة خصوم الاسلام انفسـهم واستشهدت أكثر من مرة بكثير من النصوص حين قالوا انه ليس فى العالم كله كتـاب واحـد غـير

القــرآن ظل اثنى عشر قرنا قاله صــاحبه ولم يمس بتحريف بعد .. وفى الأرجح انه ليس فى العالم كــله كتاب واحد كالقرآن ظل اثنى عشر قرنا كاملة بنص هذا مبلغ صفاته ودقته وان جامعيه لم يغفلوا أى شىء فى جمعه ودقته والذى نستطيع أن نؤكده أن مصحف زيد وعثمان لم يكن دقيقا فحسب بل كان كمــا تدل عليه الوقائع كاملا ، وان كل آية فى القرآن مضبوطة كما تلاها محمد عليه الصلاة والســلام هــذه شهادة الكل .. شهادة المستشرقين ، فاذاً نصنا موثق مــن السماء الهنا واحد فما المشكلة بيننا وما الجفوة بيننا وبين الدين الا أن تكون جفوة مفتعلة .. جفوة مصنوعة من خصوم الاسلام اولا ولكن عز عليهــم أن يجابهــوا الاسلام كخصــوم له لأنك اذا ما لقيت خصــما فانك تكون متحفزاً لأنه عدو دينك ، فماذا صنعوا ؟ احبوا ان يدخلوا الى الاسلام بالمسلمين أنفسهم وهذا هــو الخطر كل الخطر . حين واجهنا عسكريا هزمناهم . حين واجهونا مبشرين هنا اخذنا كل خيراتهم فى ملاجئهم ومستشــفياتهم وما ظفروا منــا بواحــد يأخذونه فى دينهم ، فاذاً ماذا صنعوا بعد ذلك ؟

يدخلون بالمسلمين انفســـهم . يدخلون علينا بفتن الاســـتشراق وفتن الاســتغراب أخطــر من فتــن

الاستشراق . وفتن الاستغراب هم الجماعة التى مكنت لهم ظروفهم أن يذهبوا ويأخذوا من علم هؤلاء فجاءوا الينا لكى يفهمونا أنهم اصبحوا أمة ثانية وشيئاً آخر ، ورددوا ما قاله لهم هؤلاء وحاولوا محاولات شتى ليأخذوا منا شيئا ولكن الخميرة موجودة والمناعة موجودة . فماذا هم صانعون ؟ لا بد أن يدخلوا علينا بترف الحياة . لا بد أ نيدخلوا علينا بزخارفها حتى اذا ما ألفينا مفاتنها ومظاهرها نحن أنفسنا الذين ننهار وهذا هو الواقع الا أننى أستبشر خيراً ان شاء الله وما يدل عليه فالداعى اليه فتية وفتيات فى جامعة والجامعة من المعلوم أنها تعرف أفكار العالم كله فحين يوجد فتية يقومون بهذا العمل فى جامعة فى هذا الجو البيئى لمصر والعالمى للدنيا كلها نستبشر للاسلام بالخير ، وقد قرأنا القرآن فى قول الحق (انهم فتية آمنوا بربهم) ، (الكهف : ١٣) ، والمفسرون كانوا يجهدون أنفسهم فى قصة أهل الكهف ليعرفوا أسماءهم وليعرفوا اسم كلب أهل الكهف وأجهدوا أنفسهم ليعرفوا زمانهم وليعرفوا مكانهم ، وقالوا أقوالا كثيرة.

ولو اراد القرآن أن يقول لنا أسماءهم لقالها ، ولو اراد القرآن أن يحدد مكانهم لحدده . ولو اراد القرآن ان يحدد زمانهم لقال ذلك . ولكن الابهام فى ذلك بلاغة

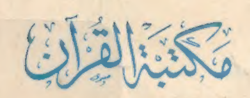
من مقاصد القرآن وقد يكون الابهام أسمى درجات البيان ، لأنه لو قالها بأسمائهم فالأسماء مشخصات ربما قال قائل هذه الظاهرة لهؤلاء الأسماء بخصوصهم . لو قال مكانهم لقال ربما كان مكانهم يسمح بذلك ، ولكن الحق ابهم الأسماء والزمان وابهم اسم المكان ليدل على أن الوصف هو المطلوب فالفتية حين تؤمن بربها بأى اسم وفى اى زمان وفى اى مكان « **فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته** » اذا فالحق سبحانه وتعالى حينما يعرض علينا هذه القصة قال فتية لانهم اقدر على العمل قد يكون الشيوخ اقدر على المعرفة ولذلك الشاعر العربى القديم يقول : اواه لو عرف الشباب ، وآه لو قدر المشيب الاثنين معا ، فنريد من شبابنا أن يأخذ من معرفة شيوخه اداة حتى تكتمل له المعرفة وتوجد عنده القدرة . حينئذ سيكون علمهم عملا مبرورا ان شاء الله ومباركا ان شاء الله . وان هذه الظاهرة التى نراها فى قاعة الجامعة الأم فنرى فتياتنا بمثل هذا الزى المحتشم لدليل على أن نفوسهن اكبر من انحراف المجتمع واكبر من اغراءات المجتمع واكبر من سخريات المجتمع بهن، سيقول الناس عنهن الشيخة فاطمة والشيخة فلانة ويهزأ المجتمع منهن « هزء المجتمع الفاسد شرف » .

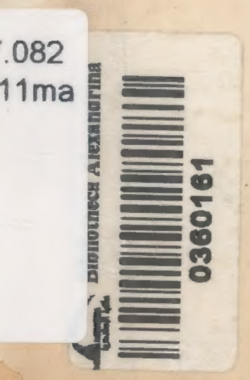
انا لا يفزعنى سوى هزء المجتمع الفاضل ، اما هـزء المجتمع الرذيل فهزء مشرف ، ولله عرض علينا هـذه القصة عرضا قرآنيـا ، ماذا قال الله فى مثل ذلك ؟ قال : ((**ان الذين اجـرموا كانـوا مـن الذين آمنـوا يضحكون . واذا مروا بهم يتغامزون ، واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فـكهين ، وإذا رأوهم قالوا ان هـؤلاء لضالون ، وما ارسلوا عليهم حافظين . فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون . على الأرائك ينظرون . هل ثوب الكفار ماكانوا يفعلون ؟**)) وأنا اريد : مـن فتياتنا القائمين على امر هذه الجماعة أن يسيروا بخطى مؤمنة وخطى ثابتة لأن الله معوم ، والله لا يريد منا الا ان نتوجه بقلوبنا اليه ، وبعد ذلك منه المعونة . فالله جعل بمجرد ايمانك به المفتاح فى يدك قال : من ذكرنى فى نفســه ذكرته فى نفسى فكأنه جعل المفتاح معك . ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه ، ومن تقرب الى شبراً تقربت اليه ذراعا . فاذا أردت أن يتقرب الله منك ذراعا فتقرب انت اليه شبرا ، وان أنت أردت أن يتقـرب الله اليك باعا فتقـرب أنت اليــه ذراعا اذاً المفتاح فى يدك بمجرد ايمانك بالله واقبــالك باخلاص على منهج الله حينئذ ستجد المعونة وستجد الرضـا وستجد الاشراق ، وانا اقول له لو عشت فترة مـن

الزمن فى ايمان ولم تجد لك نورا ولم تجد لك اشراقا فاتهم هذا المنهج وبعد ذلك دع ذلك المنهج ، ولكنى واثق بأنك اذا أقبلت على منهـج الله وعشت عيشـة اسلامية فترة من الزمن فستدرك حلاوة تأسف على ما فاتك من عمرك دونها ، وسيشجعك ذلك على ان توغل فى منهج الله الذى يعطيك هذه الحلاوة .

اسأل الله لنا جميعاً التوفيق فى كل ما نأتى ، وفى كل ما ندع ، وأن يكفينا شر نفوسنا وان يعين حكامنا على ظروفهم حتى يعلنوها كلمة مدوية : الله . الله . .

انتهى بحمد الله . وجزى الله عنا شيخنا الجليل كل خير . .





٢٥ قـرشا